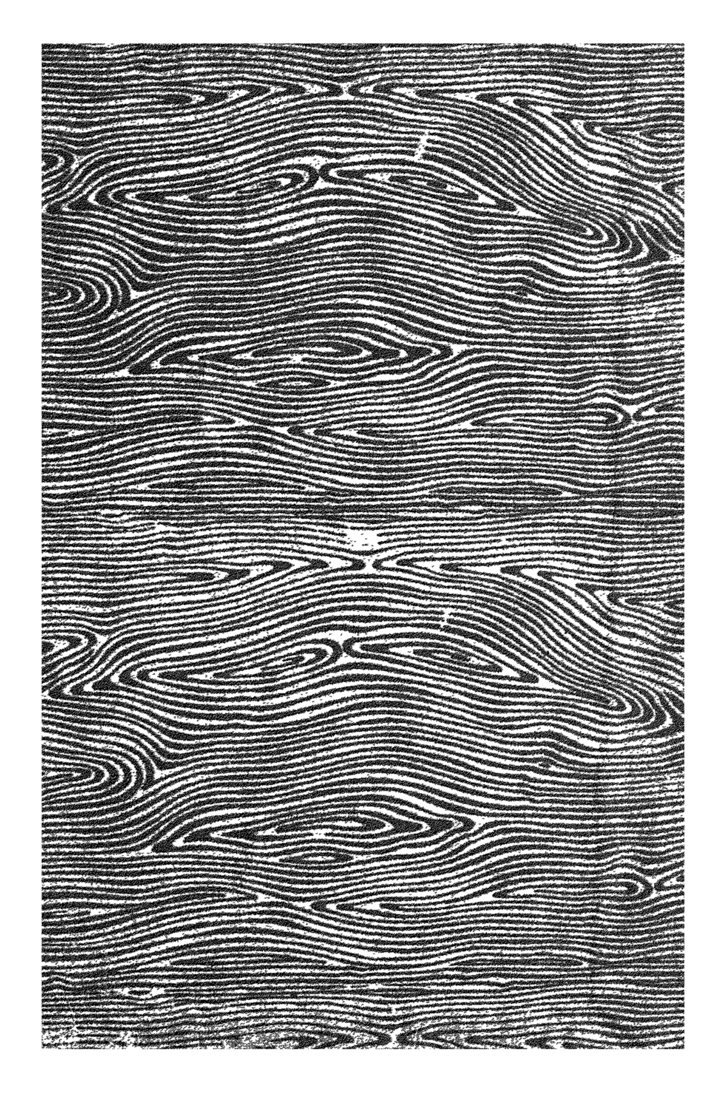
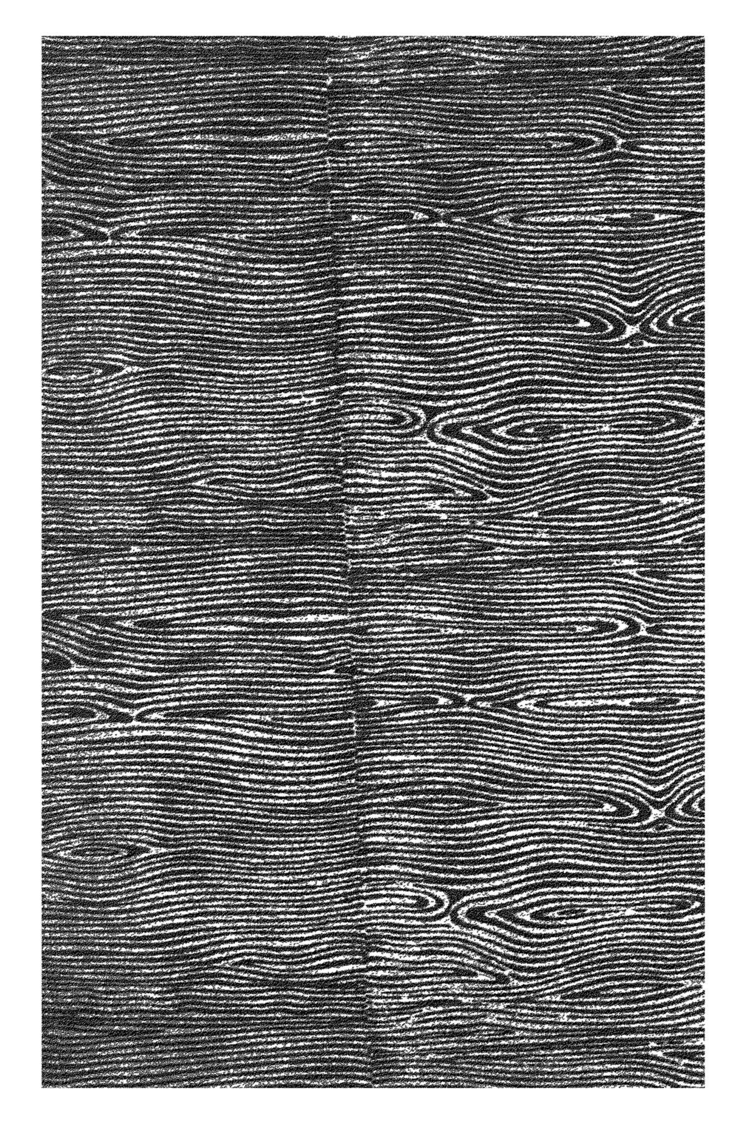
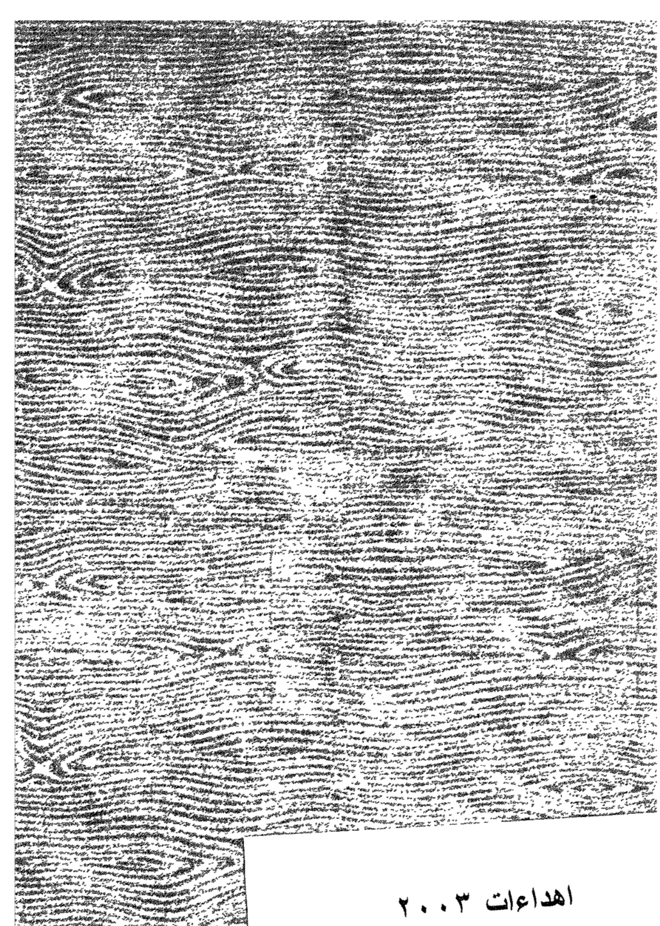








اهداءات ٢٠٠٣
الأستاذ/ زكريا الحريري
الإسكندرية

الشمس المشرقة

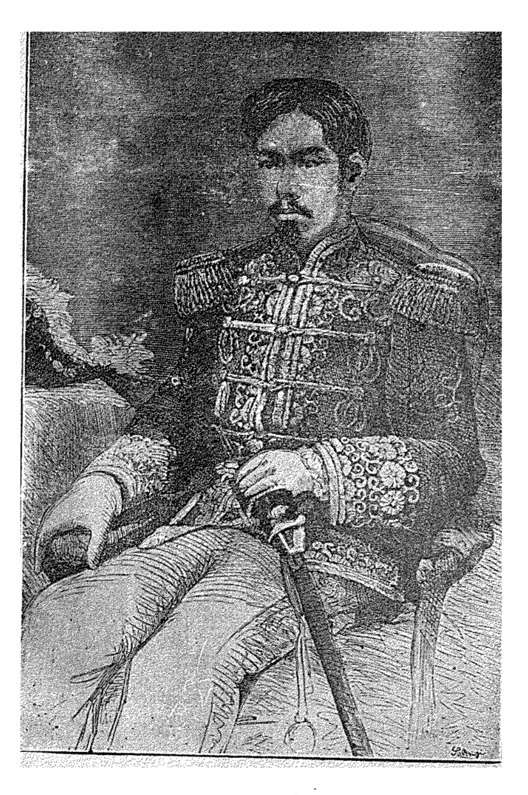
تأليف

مصطفى كامل باشا

الجزء الأوّل

الطبعة الأولى

بمطبعة اللواء بشارع الدواوين سنة ١٩٠٤



الميكادو

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله رب العالمين وأصلي علي نبيه سيد المرسلين .
وبعد فان أفضل مايربي الأمم ويرشدها الى طريق الحضارة والمدنية والرفعة شرح الاسباب التي دفعت بغيرها الى غايات الرقي ووضعت على رأسها تاجاً من العظمة والمجد . وضرب الأمثال لابنائها بأمثالهم الذين لم تقعدهم حادثة عن النهوض ولم يملأ اليأس قلوبهم لمصاب أهلي أوخيبةوطنية. بل اعتقدوا ان لكل شعب حقاً في الاستقلال ونصيباً من السعادة فجدوا واجتهدوا واتحدوا وعملوا حتي نالوا هذا الحق وذلك النصيب

ولقد كان البعض منا معاشر الشرقيين يقول ويلقن هذا القول للصغار والكبار اننا أمم انقضى دورها ودالت الأيام

على مدنيتها ومحا الزمان وجودها السياسى وليس فى وسعها التسلح بمدنية أوروبا ومقاومتها بها . وأن لا بد لها من الاستسلام للغرب وقبول حكمه وسلطانه بلا عمل للحاضر وبغير جهاد فى سبيل المستقبل . فقامت أمة اليابان مكذبة لهذه الدعوي منادية الشرقيين أجمعين بأن طريق الارتقاء ميسر لقصاده وأن من جد وجد وكل من سار على الدرب وصل

تساءل الناس بدهشة وعجب من هذا الشعب الذى خرج من القبور ليزعج الاحياء بأصوات مدافعه وقنابله وحركات جنوده فى البحر والبر ومطالب ساسته وتغلبه على الدولة التي ظنت وظن العالم معها انها لا تغلب وفوزه هذا الفوز الذي حارت فيه العقول وكادت الدنيا ترتاب فيه . وكيف أدرك هذا الشأو فى سنوات قلائل وجارى الغرب فى أمور وسبقه فى أخرى . ومن ذلك الرجل العظيم الذي سهر الليالي لاسعاده وأتعب نفسه لاعلاء شأنه وقال : « لا بد لأمتي من نيل مالم تنله أمة أخرى فى أقصر زمن » فلبت الايام نداءه وامتثل الزمان لارادته ورأى العالم مارأى من سؤدد رفيع وسلطان

تهتز له البحار والبلدان وشمس مشرقة تضئ العالمين

سمعت الناس يتساءلون عن نبأ هـذه الامة الشابة فأحببت أن أقدم لهم الجواب علي مايسألون . وجئت أطرح بين أيدى أبناء وطني الاعزاء ثمرة مطالعـة طويلة وبحث دقيق وأنقل لهم من أخبار هذه الامة الصفراء مايسهل ادراكه على الخاصة والعامة من القراء . نعم الموضوع يستحق المؤلفات الضخمة . ولكني أظن ان فيما أتيت به الكفاية واعتقد ان تاريخ اليابان هو خير مايلقى على أمم الشرق من الدروس النافعة. ولذلك كتبت ما كتبت مؤملا مساعدة الحوادث في تنبيه الغافلين وايقاظ الراقدين وارشاد الناشئة الى أن «لا معني للحياة مع اليأس ولا معنى لليأس مع الحياة » . وانها مهما رأت من الايام السوداء تعد للمستقبل أجمل وأكبر الايام البيضاء اذا عملت واتحدت وعلمت ان الامة متضامنة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها وان العاقل يجب ان يعمل ليأتي عمله بالثمرة المقصودة ولو فارق الحياة قبل نضجها وفاز غيره من بنى وطنه باقتطافها

وانه ليحلولى ان اضع هذا الكتاب والعالم كله ينظر الى

اليابانيين نظرة استغراب واعجاب ويعد انتصارهم الباهر وظفرهم العظيم على نهر يالو وفى سدمدخل بورآرثر أجمل مادونه تاريخ الحروب وأبدى فيـه الرجال مهارة ودراية وتدبيراً ونظاما وشجاعة واقداماً

وقد هدد القيصر اليابان بتأديبها مائة مرة فلم يجبه الميكادو بكلمة تهديد أو وعيد ولم يبد شيئاً من الادعاء والخيلاء بل أمر جنـده بالعمل عالماً انه ابلغ الـكلام . فعـملوا وبهروا واضطر اعداؤهم قبـل اصدقائهم للاعتراف بقوتهم وتمام اسـتعدادهم وكمال درايتهم. وماأشبه اليوم بالامس . فقدكان «لي هونغ شانغ» واعوانه يقولون عن اليابانيين قبـل الحرب الصينية اليابانيـة ماشاء التهـكم والغيظ ويسموهم بكل اسماء الهجو والاحتقار حتى عرفوهم فى ساحات الوغى واعتبروا بمالاقوا من فشـل وانكسار وطأطأوا الرؤس امامهم امتثالا واعظاماً . واذا استمر اليابانيون على هذه الخطة التي اعجب بها الناس طراً تم لهم امام الروس ماتم لهم امام الصينيين ـ والفرق بين الدولتـين عظيم لايقبل الشبه والمقارنة ـ وكان انتصارهم على جارتهم الصفراء

دون فوزهم على جارتهم البيضاء بكثير . على انهم لو لم يبالغوا في هذه الحرب اكثر مما بالغوا لحق لهم الافتخار والمباهاة

والله اسأل ان ينتفع قومي بهذه الوحدة البالغة ويحقق آمالي ويريني من همم رجال الاعمال مايزيدني ثقة بأن بلادي بالغة ماترجو من حياة عالية ومجد واستقلال

مصر في ١٢ مايو سنة ١٩٠٤

مصطفى كامل

—o✻〰✻o—

المقدمة

بأي قلم يكتب المصري عن أمة كانت فى عداد الاموات يوم كان قومه فى الصف الاول من الاحياء تعجب الدنيا بهم ويتفاخر الشرقيون بأعمالهم وترهب الاعداء جيوشهم واساطيلهم . بل كيف يستطيع المقارنة بينهم وبيننا . وقد كنا نراها عاراً فأصبحوا يرونها شناراً . وكنا ندعو الشرق للاقتداء بنا فقاموا يدعونه للسخرية منا . وليس بعجيب ان يقف المصري موقف الحيرة اذا اراد المقارنة بين أمتين احداهما حانية انكلترا والاخرى مفترسة بين انيابها . الاولى تضرب الروس وتنافس أكبر الممالك . والثانية لم تكتف بما اصابها من ويل وبلاء بل انقسمت على نفسها وضرب اليأس على قلوب الكثيرين من ابنائها . وأني للكاتب ان يقارن والمقارنة لاتكون بين الصاعد والنازل . والمتقدم والمتأخر . والحاكم والمحكوم . والسائد

والمسود . والغالب والمغلوب . والشمس المشرقة . والشمس التي غربت !

وهل يجد المصري تسلية فى الرجوع الى الماضى المجيد ليعرف الفرق بين ما كنا عليه وما كانوا فيه ؟ أو ليس فى هذا البحث منتهى الايلام للفؤاد الحي والوجدان السليم ؟

نعم تذكرني هذه الاساطيل اليابانية التي تجوب البحار وتتصرف فى مملكة الماء تصرف ابن السماء فى رعاياه التعساء بذلك الاسطول الفخيم الذي كان لمصر في اوائل القرن الماضى . وأري في هذا الجيش الاصفر الذي أذاق الروس مر العذاب وسقاهم كؤس الموت الزؤام صورة جنود لوطني حالفها النصر السنين والاعوام ودخل تحت رايتها القاصى والداني من شعوب الانام . ولكن ماأشد وقع هذه الذكرى على النفس وما أكبر هموم ذي الاحساس والشعور ؟

إني كما أرى في التاريخ العبر والامثال والمرهم لجراح الامم أري فيه شقاء الذين تولعوا بالمجد والاستقلال وقضى عليهم ان يعيشوا في زمن الاختلال والانحلال . وما مراجعة

ذلك الماضي المجيد الا كرد الحياة لمحمد على الكبير ليرى بعيني رأسه في أى حال صارت مصر وأى مقام أدرك اليابانيون . ألا تراه أشقى الناس جميعاً لو ترك اليوم قبره وهجر عالم الاموات ليبصر ما نبصر ويشهد ما نشهد وتشوهت لديه مصر وقد تركها جميلة قادرة تعشقها الدنيا ولا يستطيع الدنوّ منها انسان

*
* *

كأن قنال السويس لم يفتح الا ليؤذن بضياع مصر وعظمة اليابان . فقد كان عام ١٨٦٩ خاتمة الحياة الكبيرة في مصر ومبدأها في بلاد الميكادو. ومنه اخذت انكلترا تدبر الاستيلاء على بلادنا الاسيفة لانها وفي قبضتها جبل طارق وبوغاز باب المندب لم تر بداً من وضع يدها على هذا الطريق الحيوى لها . ولو كان لرجالنا عقول تدبر ومدارك ترشد لما فتحوا القنال أو لما ناموا بعد فتحه وأتوا بكل ما يساعد الانكليز على بلوغ أمنيتهم وتحقيق أعز أحلامهم . ومن ذلك التاريخ أخذت اليابان تخطو في طريق التقدم حتى وصلت الى ما نراها عليه

وهوينا نحن الى مايملأ القلب حزناً وغماً

ولو بحثنا بحث انصاف واعتدال فى الاسباب التي قضت علينا لوجدناها فى استعمال الحكام والامراء للسلطة المطلقة استعمال جنون واستبداد واستخدامها لاهوائهم النفسانية ومطامعهم الشخصية وإماتتهم الشهامة فى الامة وقتلهم لكل إرادة فيها وإدخالهم الاعتقاد في نفوس ابنائها بأنهم ضعاف عاجزون لاحول لهم ولا قوة وانهم متاع للحاكم يلعب به متي شاء ويبيعه إن أراد . وهكذا السلطة المطلقة اذا ضاءت تخرب في يوم واحد مايعمر في قرون . وبالعكس اذا وجهت للخير تبني في يوم مالا تبنيه حكومات الدستور في سنين واعوام

وكما أنها في الحالة الأولى أضاعت مصر وجرت عليها الوبال فانها نهضت باليابان في الحالة الثانية نهضة لم ير التاريخ لها مثيلا ولم تسمع الأمم بما يحاكيها من قبل . فقد وفق الله لهذه الأمة السعيدة رجلا لم يعتبر حق الملك والسيادة قوة سحق وإبادة . بل نظر اليه نظرة صائبة وعرف انه يجب ان يكون مصدر الخير والسعادة . وان أمة كاملة وضعت ثقتها فيه

واجمعت على محبته والخضوع لاشارته والامتثال لارادته لجديرة بأن تنال منه النفع العميم والخير الوفير والاصلاح المستمر والحرية المنعشة للقلوب المنمية للقوى والدستور الذي يكفل للأمة بقاء هذه الحرية

ومما لايحتاج لبرهان انه لابد للأمم من صفات مخصوصة للمحافظة على كيانها واستقلالها والسير الي الامام في سبيل التقدم والارتقاء . واهم هذه الصفات الشهامة وحسن اعتقاد الامة في نفسها . وقد توفرت هاتان الصفتان في الامة اليابانية توفراً كاملاً . فلا يفوقها شعب في الجرأة والاقدام وتضحية النفس حباً في الشرف الذاتى أو الشرف العام . وبلغ حسن اعتقادها بنفسها انها لم ترض ان تكون أصولها انسانية . فانتسبت للآلهة وتفننت في مفاخرها ومجدها حتى صار الياباني لايرى على وجه الارض افضل منه انسانا

وعندي ان هاتين الصفتين هما اللتان حفظتا الامة التركية الي اليوم رغماً عن الحوادث العديدة التي لو لحقت بغيرها من الأمم لقضى عليها من زمان . وهما إمافطريتان في الشعوب

أو مكتسبتان . ومن يقول ان من الامم من تولد جبانة ذايلة وتموت كذلك ولا يصلحها التعليم ولا يغير اخلاقها فهو مخطئ . فكما ان سلالة الزنجي تتغير بعد سنوات معدودة وتصير بيضاء اذا تغلب دم البيض على دمه . فان الامة التي تربي على الشهامة ورفعة النفس والفضائل تكسب مع مرور الزمان هذه المزايا وتصير خالدة فيها

وبديهى ان مصلحة الحكام الظالمين تقتضى دائما قتل عواطف الشهامة والهمة والشعور الراقى في الامم . لانهم يريدون ان يحكموا قطيعاً من الاغنام في صورة الانسان لا أمة ذات شمم وارادة . ومحال على من يعمل لارتقاء امته ان يهمل الاخلاق . فان حياة الامم بها . والمنفعة الكبري للتاريخ هى اقناع الناس بانهم لم يكونوا جبناء من يوم مولدهم وان رضوخهم للظلم جاء لاسباب عارضية قهرية . وان محو هذه الصحائف السوداء من ماضى امة ميسور اذا بيضت صحائف الحال والاستقبال

ولست مبالغاً اذا قلت ان تاريخ الأمة المصرية يساعد

المرشدين والوعاظ وقادة الأفكار اكثر من تاريخ غيرها من الأمم على احياء العواطف العالية فيها وازالة اعتقاد السوء الذى توارثته مدة من الدهر طويلة وارشادها الى مهمتها السامية بين شعوب الشرق والاسلام ووظيفتها في هذا العالم . واذا جاء يوم يفتخر المصرى فيه بانه مصرى ويقبل الموت حباً في مصر طائعاً فرحاً فبشر اهل هذه الديار بكل مايبتغون من سيادة وعظمة واستقلال !

*
* *

لما انتهت الحرب بين الصين واليابان منذ عشر سنوات وظهرت دولة الميكادو بمظهر القوة والعلم والرقى كتب أحد أكابر الكتاب الروسيين في مجلة روسية مقالة على اليابانيين قابل فيها بينهم وبين المصريين ونقلتها احدى الصحف الفرنساوية فرسخت في ذهني الى اليوم وكلما تذكرتها تألمت اشد الألم . فقد قال الكاتب فيها :

« لقد كنت في باريس من عام ١٨٧٥ الى عام ١٨٧٧ واختلطت كثيراً بالطلبة اليابانيين والمصريين . وكنت اميل

الى الآخرين ميلا كبيراً لاني كنت كلما زرت اصدقائي منهم طافوا بى على القهاوي ونوادي السرور وجلبوا لنفسى من الافراح غايتها بخلاف اليابانيين فانهم كانوا لايحدثونني اذا اجتمعت بهم الا باختراع جديد أو مؤلف حديث . واذا خرجت معهم كنت لاأخرج الا الى مجتمع علمي او مكتبة كبرى او لسماع خطاب سياسى او ادبي . وكنت في الحقيقة اسأم مقابلة اولئك « الضئال النحاف » وافضل احبائي المصريين عليهم . ولكني رأيت اليوم مالم أره يومئذ : رأيت ان هؤلاء صاروا تحت حكم الانكليز . وأولئك سادة الشرق الاقصى

واني لاأنكر على المصريين ذكاءهم وكفاءتهم ولكنهم كانوا عارفين انهم يتعلمون ليكونوا آلات للحاكم وأن ميدان الشهرة والمكسب ضيق أمامهم وان الاوروبى يفضل عليهم في بلادهم مهما فاقوه علما واستعداداً . بخلاف اليابانيين فانهم كانوا واثقين بأنهم يتعلمون ليقودوا أمتهم ويغلبوا الاوروبيين وينالوا السيادة على الصفر والبيض معا . والسبب مع هذا

واضح في خمودهم المصريين مع ماهم مشهورون به من الذكاء الباهر . وفي نشاط اليابانيين وتشوفهم لمعرفة كل جديد واكتشاف كل سر مكنون »

ويا حبذا لو ذكر الكاتب نفسه وقومه بهذه الحقيقة الآن وقال انه لم يكن يدور في خلده يوم كان يخالط أولئك اليابانيين « الضئال النحاف » انهم سيضربون دولته الضخمة الهائلة ضربات مؤلمات وانهم يأتون في خمسة وثلاثين عاماً بما لم تأت به الروسيا في قرون وأجيال . وأن لا وجود للامم بغير الوطنية والحرية . وان لا قوة للأولى بغير الثانية ولا حياة للثانية بغير الاولى . وان الحرب الحاضرة هي أكبر عبرة تعلم الامم التي لا تزال متأخرة في طريق الحضارة والعمران ان الدستور العادل هو سياج الممالك والدول وان شعباً ينمو في ظله ويرقي تحت لواء الوطنية العالية يفوز على سواه مهما كان قليل العدد وكان منافسه كبيره

وأى منظر أفخم وأسمي مما يراه العالم الآن ؟ أمة تبلغ ٤٩ مليوناً من النفوس متحدة الكلمة مجتمعة الرأى متفقة

الاحساس والشعور ملتفة حول عرش الميكادو لاعلاء شأن بلادها وقهر أعدائها ونصرة جنسها وحقوقها . فكيف قامت بهذه المعجزة الباهرة ؟ أليس لان الوطنية روحها الذى دبت بين كبارها وصغارها ورجالها ونسائها وأغنيائها وفقرائها ؟ أليس لان هذه الروح الطاهرة تنمو فيها بفضل الحرية والمساواة والدستور ؟

نعم يجب على ذلك الكاتب الروسى وغيره من كتاب العالم وساسته ورجال النظر فيه أن يعجبوا من أمر هذا الشعب الذى أثبت قواد جنده في البر والبحر انهم أقدر الناس على المهارة وسرعة الحركات وحسن التدبير والمناورات . مع انهم أبناء الامس . لا تقاليد لديهم ولا تاريخ للحربية والبحرية عندهم . بخلاف أعدائهم فقد مضت القرون وهم يقودون الجند براً وبحراً ويتمرنون في ساحات القتال

إن ثقة الامة بنفسها وانطلاقها من قيود الذل والاستعباد وتفانيها فى سيادة الوطن وعظمته تفعل ما لا تفعله قوى الارض كلها . فذلك الزارع الياباني الذي يحرث غيطه

ليعيش هو وأهله ويقوم بواجب الضريبة لحكومته . ليس بأقل احساسا من القائد العظيم الذي يزحزح الروس عن مواقعهم ويلبس النساء والاطفال في الروسيا ثياب الحداد . وتلك المرأة اليابانية التي تخون زوجها الروسي لخدمة وطنها وتكتشف أسراره لتقدمها لحكومتها ليست دون « توجو » ومن معه وطنية وشعوراً . فالكل سواء في سمو الاحساس والاميال والكل نفس واحدة في حب اليابان وتقديسها والعمل لتشريفها . وما هذه الافعال المدهشة التي قام بها الميكادو ورجاله في زمن قصير الا ثمرة ذلك الشعور الحي : ألا وهو الوطنية

فيامن تعجبون بالامة اليابانية وتعظمونها في الصباح والمساء قفوا قليلا ومجدوا تلك الروح التي أفاضت عليها السعادة والسيادة ودلوا الشعوب الغافلة عليها لعلها تقوم من رقادها وتهتدي اليها فتبلغ كل أو بعض ما بلغت اليابان

*
* *

ما انتشب القتال بين دولتي الميكادو والقيصر حتى اختلف الناس فى مشارق الارض ومغاربها وافترقوا فرقتين : هذه

مع الروس وتلك مع اليابانيين . تقول الاولى انى انتصر للصليب وأرجو فوزه . ويعلل بعض أفرادها ممن لا دين لهم سبب ميلهم لدولة القياصرة بأن نصرة اليابان تكون خطراً عاماً على الجنس الأبيض لانها تعجل بالخطر الأصفر . وقال نصراء اليابان أقوالا كثيرة كلها معقولة مقبولة طبيعية كما سترى

وقد أبدى خاصة المصريين وعامتهم قبل اعلان الحرب وبعده ميلهم الشديد لليابانيين . ورأى عقلاؤهم هذا الميل دليلا قاطعاً على ارتقاء في الشعور وقوة في الادراك والتمييز . لأنهم انتصروا لعدو الروسيا التي طالما اعتدت على بلاد المسلمين وكانت يدها أول يد حركها الصليب لتجزئة دولة آل عثمان وسلخ أهم بلادها منها . ولا شك ان ارتقاء الشعور الاسلامى الى هذا الحد يفيد أن المسلمين أدركوا أنهم متضامنون فى كل أمر مهما بعدت الديار . وانه لو نطقت عظام أولئك المجاهدين الابطال الذين ذهبوا ضحية الحروب التي أثارتها الروسيا على المسلمين والاسلام لأثنت أطيب ثناء على اليابانيين الذين دوخوا العدوة

القديمة للدولة العلية . ولعل الروس أنفسهم يجدون هذا الشعور طبيعياً كما أن الذين ينتصرون لهم لجامعة الدين لا يرون فيه شيئاً من الغرابة وقد علمونا كيف تكون العواطف والاميال ....

وهنالك أسباب أخرى غير هذا السبب الطبيعي لميل المصريين لدولة اليابان . فانها دولة شرقية نالت من القوة والارتقاء مالم تنله دولة أخرى في الشرق . وقيامها لايقاف الغرب عند حده مما يسر كل شرقي أصابه شيء من طوفان أوروبا . فضلا عن أنها راقية حرة دستورية . وكل نفس عالية تميل بالطبع للكمال ومن يتمسك بأذياله . وكيف لا يميل الانسان لقوم يقول الخطيب فيهم ماشاء أن يقول ويكتب الكاتب ما أراد أن يكتب ويرى الحقير منهم نفسه أخاً لأعظم عظيم أمام القانون . وكيف لا ينتصر لهم على قوم ضاقت الحياة بينهم في وجه رجل مثل « تولستوى » كان يجب أن يعظمه الحكام قبل المحكومين ؟

ومن جهة أخرى فاننا لو نظرنا الي الحق الصرف والعدل الصحيح نرى اليابانيين محقين في مطالبهم . لان الروسيا لم تكتف بسعة بلادها وكبر مملكتها التى تغنيها عن كل استعمار .

بل طوحت بنفسها فى الشرق الاقصى وجارت بقية الدول في تحقير الاجناس الاخرى من بني الانسان وتقدمت هي وفرنسا وألمانيا في عام ١٨٩٥ الى اليابان وأخرجتها من بور آرثر وكوريا وغيرهما من المواقع التي تنازلت لها الصين عنها بمقتضى معاهدة الصلح التي أبرمت عقب حربها معها. ثم ما لبثت الروسيا حتى احتلتها بدون أن تضحى نقطة واحدة من دم جنودها . فكيف لا تسخط اليابان عليها وتحاربها ألف مرة ؟ فضلا عن ان مجاورتها لها خطر حقيقي عليها لا بد لها من دفعه الآن قبل استفحاله

واذا صح مايقوله بعض كتاب أوروبا من ان انتصار اليابان يحدث انقلاباً عاماً في الشرق الاقصى ويبعث فى الأمم الصفراء روحاً جديدة ويجمع أمرها ويوحد كلمتها ويوجهها الى طريق الجد والعمل . فاننا نبتهج لتحقيق هذه القضية لأن في الصين سبعين مليونا من المسلمين ينعش تقدمهم قلوب الامم الاسلامية ويجدد للاسلام حياة كبرى في الشرق الاقصى :

ولو كان الاوروبيون صادقين في دعواهم وقولهم انهم يريدون تمدين النوع البشرى بأسره وانهم لايدخلون بلاداً الا للاخذ بأيدي أهلها وتسييرهم في طريق الحضارة والمدنية لسروا بما ينتظرونه من تقدم الجنس الاصفر وارتقائه وفرحوا باليابان وتقدمها وعدوها أكبر عامل من عمال المدنية والانسانية. ولكن الحقيقة والواقع ان التنافس لا يزال القانون العام فى النوع البشري. وهو يقضى بأن يعمل كل واحد لخذلان منافسه وتأخره. فلا الاوروبيون يرجون تقدم الشرقيين ولا الشرقيون يحبون دوام سيادة الاوروبيين. وصاحب القوة لايحكم ويفاخر الناس بقوته الا اذا كانوا أضعف منه. والا اذا تعادلت القوى تعادلت السيادة وذهب عهد الحاكمين والفاتحين. ورأي الفلاسفة ما حلموا به من أول الخليقة: سعادة النوع الانساني كله

فالمنتصرون لليابان ينتصرون للحق والعدل والتقدم والوطنية. ويثبتون ارتقاء شعورهم بميلهم للدولة الشرقية التي ألقت على العالمين أفضل دروس الجد والاجتهاد والعمل والاتحاد

جزر اليابان

لما كان موضوع كتابنا هذا «اليابان التاريخية والسياسية والاجتماعية» رأينا أن نقول كلمة على جغرافيتها ليحيط الطلاب وعامة القراء بكل مايتعلق بها ولا يفوتهم شيء مما يحتاجون لمعرفته بشأنها .

فاليابان هي مملكة كبيرة واسعة الارجاء تتكون من نحو أربعة آلاف جزيرة ممتدة في شرق قارة آسيا بشكل هلالى . وقد أطلق عليها فى سنة ٦٧٠ ميلادية اسم « دي نيبون » أي اليابان العظمي . ويلقبها اليابانيون في شعرهم بلقب « ياماتا » أى باب الجبال . ويبلغ مسطح هذه الجزر ٣٨٢٤١٦ كيلو متراً مربعاً . وطول شواطئها ٣١٤٠٠ كيلو متر تقريباً . واذا قيس الخط الواصل من شمالها الى جنوبها يبلغ طوله نحو ٣٢٠٠ كيلو متر

وأشهر جزر اليابان : جزائر « كوريل » التي تمتد من شبه

جزيرة (كمتشكا) الي جزيرة « يدو » . ويطلق عليها اسم « تشنسيما » ومعناها ألف جزيرة . و « يدو » التي يفصلها عن جزيرة سجالين بوغاز « لابروز » . و « نيبون » و « شيكوكو » أي الاربع الأمارات و « كيوشيو » أي التسع الأمارات ويفصلها عن جزيرة نيبون المضيق الشهير « سيمونذاكي » وجزائر « لوشو »

وتحد جزر اليابان شمالا بشبه جزيرة « كمتشكا » التي يفصلها عنها بوغاز كوريل وشرقا بالمحيط الاعظم الفاصل بينها وبين أمريكا وجنوبا بجزائر انفيلبين وغربا بحر أوختسك وبحر اليابان وبوغاز كوريا

أما طقسها فليس واحداً فيها . فهو فى الجنوب والشرق حار حيث تمر ريح تابعة لتيارات البحر تسمى (كوروسيو) أى التيارات السوداء . ولكنه على كل حال معتدل عن البلاد المجاورة لها . وهو في الغرب بارد وفي الشمال أبرد منه . ويسقط المطر في كافة الجزر اليابانية بكثرة شديدة وعلى الخصوص فى جزيرة يدو ويتكاثر الجليد فى فصل الشتاء على شواطئ الجزر المطلة

على بحر اليابان

وأهم الخلجان اليابانية خليج « ولفش » في شمال جزيرة « ييدو » وخليج « فولكان » فى جنوبها وخليجا أموريفان وتولوجيفان فى شمال جزيرة نيبون وخلجان يوكوهاما وسوروجافان وأواريفان في جنوبها ثم خليج وكسافان فى غربها

وأنهر اليابان قصيرة الطول جداً نظراً لاحاطة جزرها بالمياه من كل جانب وتشعب الجبال فيها طولا وعرضا. وأطول أنهارها لا يزيد عن ٤٠٠ كيلومتر وهو نهر « كتروجوا » بجزيرة « هوندو » . الذى ينبع من جبال « سيثانو » ويخترق مقاطعة « ميتو » ويصب فى خليج « أواريفان » في بحر اليابان وكافة الأنهار اليابانية غير صالحة للملاحة

وأشهر بحيرات اليابان بحيرة « ريوا » التي يبلغ طولها ٨٥ كيلومتراً وعرضها ٢٥ وطول محيطها ٢٩٠ كيلومتراً . وهى محاطة بتلال وتوجد الاسماك فيها بكثرة

وفى الشاطئ الشرقي من الجزر اليابانية سلسلة جبال

شامخة تتصل بأخري مخترقة لجزيرة نيبون وتسير معا الى أن تنفصل من بعضها عند بوغاز سنجاري الكائن بين نيبون ويدو . وأشهرها جبل « بارنجتاك » الذي يبلغ ارتفاعه ٣١٣٩ متراً وجبل « ناتياما » وارتفاعه ٢٨٩٦ متراً . وحجارتها من الجرانيت أو من الخزف

وفي أكثر قمم الجبال اليابانية براكين بعضها ساكن وبعضها ثائر . وأشهرها بركان « فوزياما » بجزيرة نيبون . وعلى مقربة منه بركان « أوسوسان » بجزيرة كيوشيو ويبلغ قطر فوهته ١٩ كيلومتراً

والزلازل فى اليابان كثيرة جداً . ولذلك يبني أهلها منازلهم من الخشب ويجعلونها في الغالب من طبقة واحدة

وأشهر بوغازات اليابان بوغاز لاپروز بين جزيرة يدو وسنجالين وبوغاز كوريل بين شمال اليابان وشبه جزيرة « كمتشكا » . وبوغاز سنجاري بين جزيرتى نيبون ويدو وبوغاز كوريا بين جزر اليابان وكوريا وبوغاز فرموزه بينها وبين الصين

وبلاد اليابان زراعية . وعدد المشتغلين بالزراعة فيها يبلغون

أربعة أخماس أهلها . وتربتها خصبة للغاية ويوجد على سطح جبالها غابات عديدة كثيرة يرتفع بعض أشجارها ارتفاعا عظيما وخصوصاً الصنوبر والسرو . وينبت في اليابان الارز والحنطة والشعير والفول والقرطم والشاي وقصب السكر وشجر التوت والكافور والسنط . وخضرواتها كثيرة ومتنوعة . وكذلك فواكهها وأشهرها اللوتس والبرتقال وتصدر منهما كميات وافرة لأوروبا

أما حيواناتها فكلها داجنة

ويوجد في اليابان معادن كثيرة منها ما استكشف قديما ومنها ما استكشف حديثاً . ففيها المياه الكبريتية والمعدنية ويستعملها اليابانيون بكثرة ويعتقدون انها ترد للضعيف قوته وللشيخ شيئاً من نضرة الشباب ويستعينون بها في شفاء الامراض الروماتزمية والجلدية

واكتشف أول منجم للفضة في عام ٦٧٤ بعد المسيح بجزيرة « تشنسيما » في عهد الميكادو « هاكيهودي سمونتو » . ووجد بعد ذلك في ثمانية أماكن أخرى بها الآن ٣٤٦ منجما

واكتشف الذهب في حكم الميكادو « مموتنو » . وفي اليابان ٨٩ منجما منه أعظمها موجود بجزيرة « سادوشيما »

ويستخرج النحاس بسهولة وكثرة وهو من أهم موارد الثروة اليابانية . وكذلك الحديد توجد منه كميات وافرة ولكنه ردئ النوع . والكبريت موجود في كل جهة . أما القصدير فقليل والزنك والزيبق غير موجودين

ومن أكبر مصادر الثروة اليابانية أيضاً الفحم الحجرى . وهو موجود بكثرة وافرة وخصوصاً في جزيرتي يدو وكيوشيو. ويعتبر أقدم فحم اكتشف في الشرق . وكان الغربيون يأخذون ما يلزمهم منه أثناء تجولهم من منجم جزيرة « كيوجوشيما » قبل اكتشافه بجزيرة فرموزدو بلاد الصين

وأجود نوع من هذا الفحم يوجد بثغر « نجازاكى » وأوسع مناجمه بجوار مدينة طوكيو

وأشهر مدن اليابان « طوكيو » وهى عاصمة المملكة ويبلغ عدد سكانها مليوناً ونصف مليون من النفوس وهو كل يوم فى ازدياد . وقد نظمت على الطراز الحديث من عام ١٨٦٩

أى من يوم اتخاذ الميكادو لها عاصمة لدولته . وهي ميناء ضيقة لا تستطيع المراكب الضخمة الدخول فيها . ومدينة « كيوتو » وعدد سكانها ٣٥٣٠٠٠ نفس . وكانت عاصمة المملكة قبلا ولم تزل الى اليوم مركزاً مهماً للعلوم والفنون والديانة . وثغر « يوكوهاما » وعدد سكانه ١٩٤٠٠٠ نفس وهو مركز للتجارة الاجنبية وثغر « نجازاكى » وعدد سكانه ١٠٧٠٠٠ نفس . وهو ميناء حربية عظيمة الأهمية وبه أحواض كبيرة لاصلاح السفن وثغرا « سيمونذاكى » و « هاكوديت » الشهيران

والمواصلات كثيرة ببلاد اليابان برا وبحرا فهي متصلة ببعضها بسكك حديدية وخطوط تلغرافية . ويبلغ طول الخطوط الحديدية ٦٠٠٠ كيلومتر والتلغرافية ٢٠٠٠٠ . وشركات الملاحة فيها منتشرة بين الثغور وبعضها وبينها وبين المواني الاجنبية . والفضل الأكبر في هذه الحياة الفائضة وهذا العمران الزاهر للميكادو الحالى « متسو هيتو »

—o*~~*o—

شيء من التاريخ

أصل اليابانيين . العائلة الحاكمة . دخول المدنية الصينية فى اليابان . تلاشي السلطة الفعلية للميكادو . حكومة الشجن وقوتها . اضمحلالها

يختلف المؤرخون اختلافا بيناً في أصل الامة اليابانية فيذهب البعض الى أنها من سلالة قوم ماليزيين أغاروا على جزر اليابان من الجنوب واستوطنوا فيها . ويستنتج البعض الآخر من شكل الياباني وهيئته ولغته والآثار الموجودة فى بلاده انه مغوليّ الاصل . ويشترك مع المجريين والاتراك والمغوليين والكوريين في نسبته لاكبر عائلة بشرية أسيوية تفرقت في الارض واستعمرت البلاد والممالك . واليابانيون لايجتمعون مع الصينيين في أصل من أصولهم ولوانهم صفر البشرة مثلهم واستعاروا الكتابة منهم من نحو اثني عشر قرنا . والفرق بين اللغتين اليابانية والصينية كالفرق بين إحداهما وأية

لغة أوروبية . واتحاد الامتين في اللون والجنس هذا الاتحاد الظاهري هو كالشبه بين الفرنساوي والانكليزى فى لون البشرة مع اختلاف أصولهما

وقد أبى اليابانيون أن يكونوا أمة بشرية كبقية الامم فدفعتهم العزة الاهاية للانتساب للسماء وجاء في مؤلفاتهم التاريخية مثل « كوجيكي » « ونيهونجى » اللذين ألفا فى القرن الثامن بعد المسيح ماترجمته :

« انه عند مانزل أجدادنا من السماء الى أرض جزيرة « كيوشيو » وجدوا البلاد مسكونة بقبائل متوحشة يرأس كل قبيلة منها زعيم شديد البأس نافذ الكلمة . نوقع القتال بين أجـدادنا وهؤلاء الاقوام وانتصروا عليهم وغزوا منهم جزيرتي « كيوشيو وشيكوكو » . ثم أخذوا بعـد ذلك في محاربة سكان الجزر الاصلية « نيبون » ـ المشـتق منها اسم اليابان ـ وتغلبوا على قبائل « أينوس » المتوحشة التي سموها فيما بعد « ايبسو » أي البرابرة . وجعلوا مقر حكومتهم بعد الانتصار في موقع لايبعد عن مدينة « كيوتو » الحالية .

وقد استمرت القلاقل والاضطرابات ودام النزاع بين أجدادنا وهؤلاء المتوحشين عدة قرون انتهت بسيادة الامن وخضوع البلاد لسلطة أبناء السماء أجدادنا »

وجاء في مؤلفات أخرى يابانية ان قبيلة الأينوس تنتسب للأمير « كارومي » أحد أمراء آسيا . وذلك « انه كان لهذا الامير ثلاث بنات فولعت أحداهن بحب رجل من الاهالى حباً شديداً . ولما نمى الخبر لابيها أمر بتغطية كل جسمها بالشعر كما كانت العادة وقتئذ ثم بقتلها . ولكنها تمكنت من الهرب في منتصف الليل وقصدت شاطئ البحر حيث وجدت قارباً لم يكن فيه سوى كلب كبير فلجأت اليه وسارت به الى حيث شاءت الاقدار . وقضت مع الكلب في رحلتها أشهراً طوالا رأت فيها الاهوال حتى وصلت الى جبل شامخ على شاطئ البحر كان غير مسكون فنزلت مع رفيقها (الكلب) ووضعت توأمين ذكراً وأنثى . منهما نشأ العنصر الاينوسى » .

ولا شك أن اليابانيين القدماء لم يضعوا هذه القصة الا ليحقروا الاينوس بقدر مايعظمون أنفسهم وليربوا أبناءهم

على الاعتقاد بأنهم أشرف الامم وأبناء السماء وان غيرهم دونهم أصلا واعتباراً

وعلى ذكر جماعة الاينوس نقول ان بقاياهم لا يزالون يسكنون جزر « يذو وسجالين وكوريل » فى شمال اليابان ويبلغ عددهم نحو العشرين الف نفس . ومعيشتهم على جانب عظيم من البساطة ولغتهم لفظية لا تكتب . وحسابهم لا يتجاوز الالف عداً وهم أكثر أهل الارض شعراً وقذارة . ومعتقداتهم غريبة . يعتبرون الشياطين آلهة الشر والانهر التي يصطادون منها الاسماك آلهة الخير . وهم أقوياء صادقون شديدو الشكيمة إلا أنهم كسالى

*
* *

ولا يزال اليابانيون الى اليوم يعتقدون ان عائلة الميكادو ليست بشرية الاصل وان أول امبراطور « جيموتنو » هو حفيد «أماترازو» ربة الشمس وبنت الالهين الكبيرين « ايزاناجي وايزانامي » اللذين هما من سلالات إلهية مقدسة أوجدت اليابان . ويؤخذ من المؤلفات اليابانية ان امبراطرة اليابان كانوا يحكمون

جزيرتي كيوشيو وشيكوكو ونصف الجزيرة الكبيرة المعروفة باسم « هوندو » في القرن الثامن بعد المسيح وان جدهم « جيموتنو » كان امبراطوراً على اليابان قبلهم من أربعة عشر قرناً ونيفاً أي ان العائلة الحاكمة اليابانية تولت الاحكام من ٢٥ قرناً وأكثر . وهي بلا ريب أقدم عائلة في العالم وصاحبة أسمى مجد يؤيده القدم

ويعتقد اليابانيون ان بلادهم وحدها هي التي خلقتها الآلهة وان بقية بلاد العالم وجدت بتأثير قوي الطبيعة واضطراباتها المختلفة . وان « جيموتنو » لما نزل من السماء هبط بجزيرة « كيوشيو » وانتقل منها بالبحر الداخلي الى جزيرة « هوندو » وبعد ان هزم القبائل الساكنة فيها استولى على الجزء الغربي منها لغاية غاباتها الوسطى التي كان يسكنها المتوحشون

وفي عام ٦٦٠ قبل المسيح اتخذ عاصمة ملكه في ولاية « ياماتو » بالقرب من مدينة كيوتو الحالية . ويقول البعض انهم وجدوا قبره بها في هذه الأيام . واليابانيون يعتبرون هذا التاريخ مبدأ لحياتهم ووجودهم وتأسيس مملكتهم . ويروى

تاريخهم ان كل واحد من السبعة عشر امبراطوراً الذين تولوا بعد « جيموتنو » عاش بين ١٠٨ و ١٤٤ عاما وان الآلهة تداخلوا في أمور المملكة غير مرة لاصلاح شؤونها .....

ولاشك ان أهم حادث في ذلك التاريخ القديم هو إغارة اليابانيين على كوريا في أواسط القرن الثاني بعد المسيح تحت قيادة الامبراطورة « جنجوكوجو » . وهى من أغرب النساء وأشهرهن بالشجاعة والاقدام . فقد مات زوجها وكانت حاملا أثناء إعداد التجريدة . فلم ترض بتأخيرها وسارت على كوريا وهزمت سكانها وعادت بالنصر المبين

ومما يجعل الارتباط بين الأمة اليابانية والعائلة الحاكمة فيها قوياً متيناً راسخا أنهما نشأتا معاً وشبتا معا . فلا يذكر اليابانيون أصلهم وأدوار تاريخهم الا وأجداد الميكادو وحكامهم وقادتهم . ومثل هذا الاشتراك فى الاصل والمجد يوجد تحالفا طبيعيا بين الملك ورعيته . تزيده الافعال المجيدة قوة على قوته

*
* *

كان اليابانيون لغاية القرن السادس بعد المسيح يعيشون فى حالة السذاجة الاولى ويكتفون بالسمك والارز طعاما وبالمبانى الخشبية دوراً وبديانة « شنتو » عبادة . وهي لا تتعدى تمجيد آباء الميكادو والسالفين من الاجداد والاقتداء بأعمالهم الصالحة. ثم أخذت المدنية الصينية من ذلك الوقت تدخل في اليابان شيأ فشيأ حتى سادت فيها ونشرت ديانة « بوذا » بين أهاليها وأحدثت انقلابا عظيما لا يحاكيه الا الانقلاب الذي أتمته مدنية أوروبا في هذه السنوات الاخيرة . ومبدأ دخول المدنية الصينية كان على أيدى سفراء كوريا الذين كانوا يأتون الى اليابان حاملين الهدايا والخراج . ويقول المؤرخون اليابانيون ان الحادثة الاولى التي فتحت العيون لمدنية الصين وحببتها الى اليابان ان الميكادو كان مريضا في أواخر القرن السادس فعالجه أحد سفراء كوريا ونال الشفاء على يديه . وان مبادىء « قومفسيوس » دخلت من ذلك الحين كما ان دودة الحرير وصناعة النسيج انتقلتا الي هذه الامة التى خلقت ولوعة بكل

جديد ميالة للتعلم والاستفادة . ولم تشرق شمس القرن السابع عليها حتي كان أفرادها يتنافسون فى معرفة الصنائع والعلوم والفنون والعوائد الصينية ودراسة دين « بوذا » الذى زاحم دين « شنتو » مزاحمة هائلة . حتي صار له فى زمن يسير ٤٦ معبداً و١٣٨٥ قسيساً . وفتحت المدارس أبوابها الآداب الصين وحكمتها . وأرسلت الحكومة الارساليات الى أمهات المدائن الصينية لاتقان الفنون والصنائع والاحاطة بكل علم . وغيرت نظاماتها ودستورها وقلدت الصين في حكومتها فانشأت الوزارات والمجالس وقسمت الموظفين الى ملكيين وعسكريين. ولم تمت الامبراطورة « سويكو » في عام ٦٢٨ — وهي التي أحدثت هذا الانقلاب فى نظام الحكومة — حتي كانت اليابان مصبوغة بالصبغة الصينية

وقد حافظ اليابانيون على ذوقهم الخاص بهم في العمارات وأثاث المنازل . وبعد أن قبلوا المدنية الصينية كما هى أخذوا يميزون بين ما يوافقهم ومالا يوافقهم منها . وفاقوا الصينيين فيما أخذوه عنهم من الصناعات المختلفة والطرق الزراعية

والفنون الجميلة . ولم تتحول ديانة « بوذا » بينهم عن أصولها وغاياتها كما تحولت بين الصينيين . ووضعوا نظام حكومتهم حسب أميالهم وطبائعهم فحافظوا على حق الوراثة في الحكام وأعطوا ألقاب الشرف والسيادة لعائلات معلومة لا لأفراد. وخصوا برئاسة الوزارة ـ وتعرف عندهم باسم « كوامباكو » ـ عائلة « فوجيوارا » . وهى من أكبر عائلات القصر الامبراطورى وكانت تقضى التقاليد بأن تكون الامبراطورة منها وأن يتولى بقية افرادها وظائف سامية في الحكومة

*
* *

ومن ابتداء القرن التاسع تلاشت السلطة « الفعلية » للميكادو وصار الوزير الاول يحكم باسمه . واستمر هذا الحال من ذلك الحين الى عام ١٨٦٨ أى مدة عشرة قرون تماما . وكان الميكادو يولي طفلا ويعتزل الاعمال طفلا ويقضى بقية عمره في معبد من المعابد وقلده الكثيرون من اليابانيين فكان التاجر يترك التجارة فى شبابه الغض والمزارع يهجر غيطه في قوة الحياة ونضارة العمر . حتي صار العدد الجم من الاقوياء

الاشداء بلا عمل وقصرت حياة الجد والاجتهاد والسعي

وكان رجال القصر لايشتغلون الا بالملاهى والفنون والشعر . وقد أدت هذه الحالة الي ايجاد حكومة الاشراف والالتزام في البلاد . فتكونت طبقة عسكرية بجانب الهيئة الملكية التي تتصل ببيت الملك وتسند اليها الوظائف الملكية الكبري وتعرف باسم « كوجي » . واجتمع حول العائلات العسكرية الجنود الخاضعون لها الذين عرفوا من ذلك الوقت باسم « ساموراى » واشتهروا بالجرأة المتناهية والشجاعة التي تضرب بها الامثال . ونبغ من بين العائلات العسكرية عائلتان بلغت المنافسة بينهما غايتها وهما « تايرا » و « ميناموتو » . وسلالتهما تتصل بامبراطرة اليابان وأمهاتهما من سراريهم . وكان لكل واحدة منهما عضو صغير فى بيت الملك ترشحه للعرش

وقد فازت عائلة « تايرا » على منافستها في منتصف القرن الثاني عشر بعد المسيح وقام من رجالها المدعو « كيوموري » بالحكم باسم الميكادو من عام ١١٥٦ الى ١١٨١ . وذبح كافة

أفراد عائلة « ميناموتو » . ولم ينج منهم الا « يوريتومو »
الشاب وهو الولد الأكبر لرئيسهم . والفضل في نجاته لأحد
الزعماء التابعين لكيوموري . ولما بلغ سن الرشد ثار في ولاية
« كوانتو » ومن حسن حظه ان كيوموري مات فسار على
مدينة « كيوتو » ومعه أخوه من السفاح « يوشيتسون »
الذي هرب من معبد كان مسجونا فيه . وبعدان استوليا على
العاصمة وضعا على العرش طفلا لايتجاوز السابعة من عمره
بدلا من الميكادو « أنتوكو » الذي أخذته عائلة « تايرا » معها
أثناء هروبها الي جزيرة « كيوشيو » . وبعد واقعة بحرية جرت فى
البحر الداخلى فى عام ١١٨٥ وانتصر فيها « يوشيتسون » على
عائلة « تايرا » انتصاراً باهراً تم الأمر لأخيه « يوريتومو »
وحكم اليابان باسم الميكادو

وقد أغار هذا البطل الكبير « يوشيتسون » الذي لا يزال
اسمه بين اليابانيين أكبر أسماء رجال الحرب والضرب على
منشوريا . ولكن أخاه توجس خيفة منه وأمر بقتله وأرسل
ضده جيشاً من القتلة وقطاع الطريق في طول اليابان وعرضها.

الا انه نجا بفضل اخلاص أحد ضباطه المدعو «بنكى» والراقصة «شيدزوكا» . ويقول اليابانيون انه لما ضاقت الدنيا فى وجهه من معاملة أخيه له سار الى منشوريا وألف جيشاً كبيراً من المغول وسمى نفسه «جنكيزخان» . . . .

ومن ذلك التاريخ سادت حكومة الاشراف فى اليابان واستصدر «يوريتومو» من الميكادو في عام ١١٩٢ أمراً بتلقيبه «شجن» أى «المكلف باخضاع المتوحشين» . واتخذ مدينة «يدو» عاصمة له وترك الميكادو في «كيوتو» وصار من اختصاصه القيام بأعباء الحكم بالنيابة عنه والاعتراف له بالسيادة الاسمية . وصارت جنود الشجن هى التي تحرس الميكادو في قصر «جوشو» بمدينة كيوتو

وبعد موت «يوريتومو» فى عام ١١٩٨ استولي حموه «هوجو توكيمازا» علي زمام الحكومة باسم القصر من أبناء بنته وبقيت السلطة فيه وفى عائلته بسبب موت أولئك القصر . ومما يخلده التاريخ له أنه تغلب على الاسطول المغولى الذي أرسله «كوبلاى خان» للإستيلاء على اليابان ورد اعتداء الاجانب

عن بلاده . ولم تر اليابان بعد ذلك غارة أجنبية عليها . وقد ذهبت دولته في عام ١٣٣٤ حيث اتحد الاشراف مع الميكادو « جودايجو » وقضوا على سلالته . ولكن السلطة لم تلبث أن خرجت من يد الامبراطور حيث ثار عليه أحد ضباطه المدعو « أشيكاجاتا كوجى » وأخرجه من عاصمة ملكه وأقام غيره من العائلة الامبراطورية . وعين نفسه « شجناً » . واستمر هو وعائلته في الحكم حتي قامت حروب أهلية في القرن الخامس عشر خربت اليابان وأنكر فيها جنود الساموراى سلطة الميكادو والشجن ولم يعترفوا الا بسيادة أمرائهم المعروفين باسم « دايمو » وهم أصحاب الالتزامات الكبيرة في البلاد

وقد كان القرن السادس عشر قرن خراب وشقاء وانحطاط زال فيه مجد المدائن وجمالها وصارت العاصمة نفسها في أسوء حال وترك أشراف القصر مولاهم الميكادو وفروا هاربين . واستمر الحال كذلك حتي وفق من الاشراف « أوتا . نوبوناجا » من سلالة عائلة « تايرا » لان يجمع القوم حوله ويعزل آخر حاكم من عائلة « اشيكاجا » في عام ١٥٧٣ ويستلم أزمة الأمور

بهمةوعزم ويعيد السكينة والسلام والامان . ولكن أعوانه خانوه في عام ١٥٨٢ ورأي أعداءه محيطين به فشق بطنه بنفسه « كما هي العادة القديمة في اليابان » وفارق الحياة

وتولي الامر من بعده أحد خدامه « هيديوشى » وأصله وضيع . وهو الوحيد الذى ارتقى في تلك العصور من أحقر طبقات الشعب الى أسمي المناصب . وبعد ان تغلب على أعدائه ونظم الاحوال جرد جيشاً لفتح كوريا . ولكنه لم يفلح للاختلاف الذى كان سائداً بين القواد

* * *

وقد حدث في منتصف القرن السادس عشر حادث خطير الشان وهو ان القديس « فرنسوا كزافييه » دخل اليابان وقابل في بادىء الامر أمير « بونجو » ثم أخذ يلقي مبادىء المذهب الكاثوليكي لليابانيين وأتى بعدد كبير من المبشرين البرتغاليين حتي ازدحمت بهم اليابان على سعتها وبلغ عدد الذين اعتنقوا الدين المسيحي من اليابانيين نحو مليون من النفوس مع ان عدد الامة كان يومئذ لايتجاوز عشرة ملايين فرأي

الشُّجُنْ « هيديوشى » أن بقاء المبشرين صار خطراً على سلامة المملكة وأصدر أمره لهم في عام ١٥٨٧ بأن يتركوا أراضى اليابان في ظرف عشرين يوما . وقتل منهم تسعة مبعوثين وسبعة عشر مسيحيا يابانيا فى ثغر « نجازاكى »

وبعد موت « هيديوشى » في عام ١٥٩٨ كانت سلطة الاشراف قد ضعفت وتزعزعت قوة أميري الجنوب «شوشيو» و« شتسوما » وكانا مشهورين بشدة البأس ونفوذ الكلمة . واستعدت البلاد لحكم جديد ونظام حديث وكأنها طلبت رجلا من دواهى الرجال فأباها واستغاثت بإرادة قاطعة فسعت اليها . وذلك ان « هيديوشى » ألف قبل موته مجلسا للوصاية على ولده القاصر « هيديورى » وكان رئيسه «توكوجاوا يياس» أو « يياسى » أكبر قائد للجند فى عهده . فلم يلبث الاعامين حتي اختلف مع بقية الاوصياء وشكل جيشاً من أشجع رجال الشمال والشرق وهزم قوي أشراف الجنوب والغرب واستبد بالأمر في اليابان . وهذا الرجل هو من أكبر فحول اليابان بل من آحاد قادة الامم فى التاريخ . وقد جمع

في حكومته بين مظاهر الحكومات المطلقة ونظام حكومات الاشراف والالتزام ووحد الامر ورد للديكادو فخامة الملك وأبهته مع حرمانه من قوته وسيطرته وقرر أن يذهب اليه في كل عام لتأدية واجب الخضوع والاعظام وأقام حكمه على أساسات متينة راسخة وبقي الامر في أعقابه ٢٥٠ عاما كانت كلها سكينة وسلاما

وقد اضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً واعتبرهم ألد أعداء بلاده ورسل الخراب اليها وممهدى استيلاء الدول الاجنبية عليها وأعلن عداوته لهم في عام ١٦١٤ واستمر ابنه وحفيده من بعده على خطته حتي تلاشى الدين المسيحى من اليابان وتقلص ظله في عام ١٦٣٨ . ولم يكتف « يياسى » بذلك بل أقفل أبواب اليابان أمام الاجانب وحرم على اليابانيين الخروج منها . وجعل وجهته : اسعاد اليابان فى الداخل وبقاء السيادة فيها له ولعائلته . وبعد ان كان الهولانديون يتجرون في كل انحاء المملكة قرر « هيدتادا » ابن « يياسى » أن لا يتجر أجنبي فى غير ثغر « نجازاكى » . وبقيت اليابان مدة قرنين

بعيدة عن العالم كله لا يطرقها طارق ولا يدخلها أحد

أما المبادئ التي أقام « يياسى » عليها حكومته فهي عدم خروج الميكادو من قصره في كيوتو وترك ١٥٥ عائلة من الاشراف حوله لخدمته . ومنحه في العام ٩٠٠٠ « كوكو » من الارز أي ١٦٢٠٠ هكتولتر . وعدم التصريح لاحد من الامراء والاشراف حكام الاقاليم بالمرور من كيوتو

وقسم البلاد الي ٣٦٠ قسماً أقام على كل واحد منها أميراً يعرف باسم « دايمو » وجعل أحباءه وأخصاءه أكبر الامراء ومنحهم أحسن الاقسام وفرق أعداءه أومن ظن فيهم عدم الميل له . وأحاط كل أمير بجماعة من « الساموراي » الذين كانوا يكونون جزأ من عشرين من الامة ويأنفون حراسة الارض ويراقبون الزرّاع المستأجرين لها

وقد كان لهؤلاء الساموراى شأن هائل في تاريخ اليابان . وأولادهم هم الذين صعدوا بها في هذه الاعوام الأخيرة الى هامة المعالي وقمة المجد والارتقاء . وكان الساموراي يحمل سيفين واحداً في اليمين وآخر في الشمال وقد سماهما يياسى

« فؤاده الحي » . وكانت هذه الفرقة العسكرية تعيش من مرتب يمنحه لها سيدها وتقوم بأعظم ضروب الشهامة . ومن اخلاقها التعلق الشديد بأميرها والتعصب لحزبه واحتقار الموت والتمسك بعادة « هاراكيري » التي تقضي بشق البطن لأقل اهانة وكان أفرادها يتعلمون الرسوم الخاصة بهذه العادة من عهد طفوليتهم . ومنهم يتألف الجيش ويختار الموظفون المنوطون بأدارة الشؤون الزراعية والأدارية . وكانوا كذلك على جانب كبير من المعرفة والآداب ولآرائهم تأثير عظيم في سياسة البلاد . وكان اذا حرم أحدهم من خدمة سيده لأي سبب من الاسباب يطوف البلاد فوق جواده ويؤدب الجناة والطغاة ويقوم بما يسمح له به هواه . وقد يجتمع على أمثاله ويعرضون خدماتهم على أحد الامراء لنصرته في حرب أو مناوشة أهلية

أما بقية أفراد الامة أي التسعة عشر جزأ الباقية منها فكان يطلق عليها اسم « هيمين » أى « العامة » . وكان الزرّاع هم العدد الأكبر فيها ثم يليهم الصناع فالتجار . وكانت اليابان في ذلك العهد تحتقر التجارة والتجار . وبعد هذه الطبقات

طبقتان يأنف من الاقتراب منهما كل ذي أخلاق وهما «إيتا» اي «القذرون» وهم المحترفون بالحرف السافلة «وهينين» أي «الذين ليسوا رجالا» وهم الشحاذون والمتسولون

ولم يكتف «يياسى» بالاعتماد على القوة العسكرية بل وضع نصب عينيه حكمة الجبابرة والمستبدين «فرّق تحكم» فأوجد أسباب الشقاق والافتراق بين الاشراف وبعضهم ووصلت يداه الى كل جهة في البلاد وكل دار من ديار الامراء الا الجنوب فانه بقي متحداً تحت سيادة امراء «شوشيو وشاتسوما وهيزن»

وقد اتبع أبناء «يياسى» خطته وجروا على سياسته واستصدر حفيده «إيمتسو» أمراً من الميكادو فى عام ١٦٣٥ بأن يقيم كل «دايمو» عاما فى إمارته وآخر في مدينة «يدو» بالقرب من الشجن وأن يترك نساءه وأولاده فيها العام الثانى وبذلك كلفهم من النفقات مالا يطيقونه وأفقرهم تحت عبء الشرف . وملأ اماراتهم بالجواسيس والمخبرين

وبهذه السياسة سادت عائلة «توكوجاوا» مدة ٢٥٠

عاما وعلمت اليابانيين احترام السلطة والامتثال لهاومعرفة الواجب وتشريفه. فنشأ الولد يطيع أهله طاعة عمياء. والزوجة تمتثل لزوجها والزارع للساموراي والساموراى لأميره والامير للشجن. وكان القانون بسيطاً يعرفه كل انسان. فلم يكن يجهل ياباني ان عقاب السرقة الاعدام. وان الارض ليست ملكا لأحد بما انها ملك الميكادو. وان الشجن ينوب عنه في ادارتها. ويقوم الدايمو مقام الشجن ويحل الساموراى محل الدايمو. ويستأجر الفلاح الأرض من الساموراى ليغذى الجميع

وقد عاشت اليابان فى ظل هذا النظام سعيدة مستريحة لاتعرف القلاقل والاضطرابات والحروب الاهلية. وترقت من الوجهة الاقتصادية كثيراً. وتقدمت الآداب والفنون والصناعات الجميلة فيها تقدما باهراً. وكل ما يراه الناس الآن من البدائع اليابانية والمصنوعات الدقيقة المدهشة هى من آثار عصر عائلة « توكوجاوا ». ودرست كذلك في أيامهم مؤلفات الصينيين فى المدارس وانتشرت المدنية بين طبقات الشعب

ولكنها كأغلب العائلات الكبيرة رأت أيام الانحطاط

كما توجت بتيجان العظمة والرفعة . فقد تنازل الشُّجُنْ في أوائل القرن الثامن عشر عن السلطة الفعلية لوزرائه ـ واستمر كذلك الى ءان زال حكمه بالمرة ـ واشتغل بالنساء وعلت كلمتهن عليه وصارت مدينة « يدو » مقر اللذات والملاهي ومرسح الفجور والتباهي بالخلاعة . وبعد أن كان الشبان يتعلمون فيها حمل السلاح وضروب الشهامة صاروا يجيئون اليها ليعرفوا كيف تزين الوجوه . وانتقلت العدوي من الشجن الي الامراء فألقوا مقاليد الامور للساموراي وصار الصغير يراقب الكبير والمحكوم يقود الحاكم

أما الميكادو فبقي سجينا في قصره بمدينة « كيوتو » ونسيت الحكومة مبادئ « يياسى » لحرمته من جزء عظيم من مرتبه وتركت رجال معيته يشكون الفقر والفاقة وقصره يتداعي . وأبطل الشجن عادة زيارته مرة في كل عام لحفظ الظواهر وتغرير الشعب بأنه النائب عنه . وبذلك أخذ الناس ينظرون بعيون الحسرة والندم الي ذلك الامبراطور صاحب الحق الشرعى الذى صار خيالا وذلك المغتصب المنعم الذى لا

يستمد سلطته الا من القوة واستسلام الشعب . وأخذ عقلاء
الامة من ذلك الحين يراجعون المؤلفات القديمة والتاريخ الاهلي
حتي ساد بينهم رأي واحد : وهو ان النظام السياسى لليابان
تحول عن مجراه . وسلبت سلطة الميكادو غدراً وعدوانا
واحتقرت ديانة « شنتو » التى تمجد آباءه وأجداده وتشرف
الاصل الياباني أي تشريف . وعوضت بدين بوذا وقومفسيوس
لقتل العواطف الاهلية ومحو المحبة الوطنية من النفوس

وأول من أذاع هذه الحقيقة ونبه اليها البرنس « دي ميتو »
أحد أقارب الشجن نفسه . وكان قد التجأ اليه فلاسفة صينيون
اضطهدتهم حكومة بلادهم فتناقش معهم طويلا فى مبادئ
« قومفسيوس » وعلم منهم انها توافق مبادئ « شنتو » في
انه لايجب أن يكون بين الاب وأبنائه واسطة وان الميكادو
هو أب الشعب والشجن مغتصب لحقه وان السلطة الوحيدة
الشرعية هي سلطة الميكادو سليل الآلهة

وقد سرى هذا الاعتقاد بين الطبقة الراقية وفرقة
الساموراى سريان الدم في العروق وتردد بينهم تردد الانفاس

في الصدور وتكونت لهم عقيدة وطنية زادها قوة على قوتها ما كانوا يرونه من النعيم الوافر المحيط بقصر الشجن والفقر المدقع المخيم على دار الميكادو . وبلغ من تأثرهم لحالة أمبراطورهم وتألمهم لاضمحلال سلطته وزوال أبهته ان ساموراياً اسمه « تاكاياما » قطع نصف بلاد اليابان على قدميه في عام ١٨٤٠ بقصد رؤية قصر الميكادو . ومر في طريقه على « يدو » فرأى الشجن فيها موضع العظمة والاجلال منعم البال تحفه السعادة والجلال ونظر عند وصوله الي كيوتو قصر سيده وسليل الآلهة العظماء فرآه في أتعس حال مهجوراً مهدد البناء فجثا على ركبتيه وركع على التراب ثم قام وقلبه يتمزق . ولم يعش بعد ذلك الا يومين حتي مات حزنا وانفعالا

وما انتشر خبر هذا الساموراى بين الناس حتى تناقل قصته الكبار والصغار وتضاعفت آلامهم وكبرت همومهم وعز عليهم أن يروا أشرف ممثل لمجدهم القديم فى هذا الانحطاط واجتمعت حوله القلوب حبا وحنانا وتعلقت به الافئدة وطنية واخلاصا . ورأى الخاصة والعامة ان سلامة الوطن في سلامته

وانقاذه من الفوضى السائدة فيه باعادة سلطة الملك الى صاحبها وسيادة العرش الى أحق الناس بها

وفضلا عن ذلك فقد أثقلت حكومة الشُجُن كواهل الاهالي بالضرائب والمظالم وصار جيش الساموراي عالة عليهم وحملا ثقيلا لا يطاق. واضطر التاجر لاخفاء ثروته في جوف الأرض كما كان يفعل أغلب الشرقيين واضطهد المزارع وعمت المغارم وارتفعت الاصوات بالشكوى من هذه الحكومة التى لاتشبع ولا ترحم

وتطلعت الشبيبة اليابانية فى ذلك العهد لمعرفة مايجري وراء البحار ودفعها حب الجديد والتشوف لكل أمر غريب للانتشار فى ثغر « نجازاكى » لمواصلة التجار الهولانديين سراً وتعلم الطب منهم بنوع خاص . وقدقاسوا الشدائدوالاهوال في الاستفادة من أولئك الاجانب لجهلهم لغتهم ولكنهم حصلوا ماأرادوه . وكأنهم كانوا يستعدون بهذه المعارف القليلة لاستقبال ذلك الحادث الجسيم الذى جاء ليخرج اليابان من الظلمات الى النور ويملأ ارجاءها علما وحرية ويرفعها من هاوية التأخر والانحطاط الى قمة السؤدد والعلاء

الانقلاب الحديث

علم القاريء مما قدمناه ان بلاد اليابان لبثت مقفلة في وجوه الاجانب اكثر من قرنين وأن ثغر « نجازاكى » كان الثغر الوحيد الذى يصح لهم الدخول فيـه وجلب متاجرهم اليه . وقد رأت الولايات المتحدة فى عام ١٨٥٣ أن ترسل أسطولا مؤلفاً من أربع بارجات حربية تحت قيادة القومندان « برى » لارغام اليابان علي فتح مدائنها وعقد معاهـدة تجارية معها . ولم يكن بين مارأت ومافعلت الا القليل من الايام شأن حكومات العمل والارادة . وجاء الاسطول الامريكى الي ثغر « ييدو » ومع قائده كتاب من رئيس الولايات المتحدة الي الشُّجُن متضمناً مطالب دولتـه . فاضطربت حكومته أى اضطراب ووقعت فى حيص بيص وبعد أن فشلت في ارسال القائد وأسـطوله الى ثغر « نجازاكى » كماهي العادة اضطرت لطلب أجل طويل لاعطاء الجواب . فمنحها « برى » بضعة أشهر وقام باسطوله .

فانتهزت الفرصة وأرسلت منشوراً الى الامراء تسألهم آراءهم في هذه المشكاة الجديدة لانها رأت من الصعب عليها تحمل مسؤولية فتح البلاد للاجانب وخافت العاقبة لما تعلمه من شدة كراهة اليابانيين لهم . وقد زادت هذه الكراهة لطول عزلتهم وابتعادهم عن بقية بلاد العالم . فجاءها الجواب من البعض بفتح ثغور معدودة لمدة ثلاث أو خمس سنوات ومن البعض الآخر — وكان اكثر عدداً — بالرفض والاستعداد لمقاتلة الاجانب اذا أصروا على طلباتهم . وكان البرنس « دي ميتو » في مقدمة القائلين بهذا الرأي

ولكن الشُّجُن خاف بأس الامريكيين وأمضى عند عودة « بري » معاهدة بفتح ثغري « شيمو داوها كوداتي » وبقبول قنصل أمريكي . ولم يصل هذا الأخير الا في عام ١٨٥٧ ولكن فرنسا وانكلترا والروسيا كانت قبل وصوله اقتدت بالولايات المتحدة ونالت امتيازات غير قليلة من الشُّجُن

وما انتشر بين اليابانيين خبر هذه القرارات والامتيازات الممنوحة للاجانب حتى هاجوا وماجوا وازداد سخطهم على

الشجن وحكومته ـ التى كانت تعرف باسم « باكوفو » ـ وبلغ الغيظ منهم غايته . وكان أشدهم حقداً واستياء فرقة الساموراى التى اعتبرت عمل الشجن عاراً على المملكة واهانة للامبراطور ورأت في دخول الاجانب تدنيسا لارض اليابان المقدسة . وتحولت الانظار كلها نحو الميكادو الذى صرح بغضبه عندما علم بسلوك الشجن مع الاجانب وأمر باقامة الصلوات في معابد « إيز » التى هي أقدس المعابد اليابانية . ولم يكتف بذلك بل دارت المخابرات السرية بينه وبين أحزاب الجنوب التى كانت تبغض عائلة « توكو جاوا » بغضاً شديداً وتكره الاجانب بكل قواها

ولما رأى الشجن ان البلاد نافرة منه وان تصريحه للاجانب بالدخول في بعض موانى اليابان أهاج أهلها عليه . أرسل من قبله رجلا قادراً مشهوراً بالدهاء وقوة التأثير اسمه « لى كامون نو كامي » لقهر الميكادو على اعطائه الاذن الرسمي بالتصريح . ولكن جماعة من الساموراى الذين كانوا بلا عمل قتلوه في عام ١٨٦٠ ونشروا للناس اعلانا وطنيا بتبرير قتله . وهذه هي العادة في اليابان من أبعد الازمان . وصار الشجن

من ذلك الوقت بين نارين . نار الامبراطور الذي يأمره بطرد الاجانب ونار هؤلاء الذين يشكون اليه اعتداء الاهالي عليهم وقتلهم لبعض رجالهم حينا بعد حين

وبقيت البلاد مدة ١٥ عاما من سنة ١٨٥٣ الى سنة ١٨٦٨ تستعد للحادث العظيم الذى أحدث فيها انقلابا لم يذكر التاريخ لبني الانسان أغرب منه . وأخذ الناس في خلال هذه السنوات يجاهرون بالعداء للشجن ويتآمرون ضده ويجتمعون في المطاعم ويتبادلون الافكار لقلبه وقلت ايراداته فأطلق الاسرى ورد النساء اللواتي كن في خدمته من بنات الاشراف . وتغيرت الاحوال ونادت الحوادث بان ما قبلته اليابان مدة عشرة قرون سيزول في يوم واحد . وان سلطة الميكادو هي التي ستجعل للبلاد مقامها الرفيع بين الممالك والدول

وفي عام ١٨٦٢ زار أمير « شاتسوما » مدينة « كيوتو » خلافا للعادة وتعهد بحراسة مندوب من الامبراطور حاملا لأوامر أصدرها للشجن يدعوه فيها للحضور أمامه . فلبي الشجن الأمر وطأطأ رأسه أمام مولاه بعد أن تعالى عليه مدة من

الدهر طويلة ونفـذ ماطلب من عزل بعض الموظفين وترك حكام الاقاليم يذهبون الى التزاماتهـم مع عائلاتهـم . وحضر بنفسه في عام ١٨٦٣ الى « كيوتو » حيث سلمه الميكادو « كومي تنو » ـ والد الميكادو الحالى ـ السيف في معبد اله الحرب ليطرد به المتوحشين أي الاجانب . وترددت زيارته حتى ضعفت سلطته نوعا وصار الامبراطور يحصـل مرتبه مباشرة من الاشراف ويدعوهم للحضور الي كيوتو ويشتغل فعلا بشؤون المملكة

ومما أطال حياة سلطة الشجن وحكومته بضع سنوات أن أحزاب الجنوب كانت منقسمة علي بعضها وكان كل أمـير يسيء الظن بأخيه توهماً منه انه يرمي الى الاستيلاء علي عرش عائلة « توكوجاوا » . ولذلك حاول كل واحد منهم اغتصاب الامبراطور لتكون السلطة بيده . ولكنهـم أدركوا في آخر الامر ان القوة في الاتحاد فاجتمعوا وأزالوا مافي النفوس من ضغائن قديمة

ومما يجدر بنا ذكره في هذا المقام ان الميكادو « كومي تنو » كان من أعقل الملوك وأشدهم تبصرا . وقد رأي من ابتـداء

الحوادث التى سردناها انه لا بد لقومه من معرفة أسرار تقدم أوروبا وماهية حضارتها ومدنيتها . فأرسل الارساليات اليها من فقراء الشعب وأغنيائه وأوصى الشبان بأن لا ينسوا انهم يهجرون الاهل والاوطان لتحصيل العلوم والعرفان لا للملاهي والغيد الحسان . وكان بين آحاد تلك الارساليات المركيز « إيتو » الذى كان من الساموراى ولم يكن يظن أحد يومئذ انه سيكون يوما ما أكبر ساسة بلاده وأحد عظماء الرجال في العالم كله

وحدث ان رجال حاشية أمير « شاتسوما » قتلوا في عام ١٨٦٢ انكليزيا اسمه « ريشارسون » . فأرسلت الحكومة الانكليزية أسطولا الي « كاجوشيما » عاصمة ولاية هذا الامير لتدميرها . وأطلقت المدافع عليها بالفعل ومرت في عام ١٨٦٤ من بوغاز « سيمونازاكى » رغماً عن مدافع أمير « شوشيو » فتنبه اليابانيون من ذلك الحين الى وجوب استعارة قوى الغرب لمقاومته بها والتسلح بأسلحته لرد غارته ودبت فيهم جميعاً روح الغيرة والعزة الاهلية . وبعد أن كان الواحد منهم يظن قريته الوطن كله صاروا يعتقدون ان المملكة بأسرها وطن لكل

فرد وانهامها تناءت أجزاؤها وتباعدت أطرافها يهمهم سلامتها على السواء ويؤلمهم تداخل أي أجنبي في أحقر قراها

أما الشجن « هيتوتسوباشى » فقد تضعضعت قوته وانحلت عرى سلطته. ومع انه جرد جيشا من ٧٠٠٠٠ مقاتل لمحاربة أمير «شوشيو » الذي أعلن عليه العصيان ورفع في وجهه راية الثورة فانه لم يفز الا بالخيبة والفشل . وبعد أن التمس من الميكادو عقد مجلس من كبار « الدايْو » ووعد بالرضوخ لاوامره جمع جيشه وترك مدينة «يدو » الى « أوزاكا » وسار منها على « كيوتو » بقصد الاستيلاء عليها . وكان الميكادو « كومى تنو » قد مات في عام ١٨٦٧ وانتقل الملك الى ابنـه الميكادو الحالى « متْسوهيتو » وهو في الخامسة عشر من عمره فساءه اضطراب البلاد وارتباك أحوالها وأصدر منشوراً لرعاياه المخلصين دعاهم فيـه الاجتماع حول رايته لطرد الشجن المغتصب لقوة الملك وتوحيد الحكومة وجمع كلمة الامة . فلبته الاصوات من كل مكان وازدحمت العاصمة بأنصاره وتألف جيش باسم « جيش العقاب » تحت قيادة الامير « اريزوجاوا » من أقارب الميكادو .



—ه﴿ الأمير « أريزوجاوا » ﴾ه—

وبعد واقعة دموية انتصر جيش العقاب وفر الشجن هاربا بطريق البحر الى « يدو » وفيها سلم نفسه بلا شرط. وانتهى في عام ١٨٦٨ أمر هذه الحكومة الاستبدادية القائمة على دعائم الحيلة والغدر التي تشبه من وجوه كثيرة حكومة المماليك في مصر وبخضوع الأميرال « إناماتو » في جزيرة « يزو » عام ١٨٦٩ لم يبق للشجن فى اليابان نصير واحد. ونقل الميكادو عاصمة ملكه إلى « يدو » وسماها « طوكيو » أي العاصمة الشرقية وهجر « كيوتو » التى كانت مقر عائلته في أيام الانحطاط والضعف وتلاشى السلطة. ومن ذلك التاريخ أخذ فى ادخال مدنية الغرب الي بلاده ونظم معيته وحاشيته على نسق النظام الذي كان متبعاً في قصر الامبراطور نابليون الثالث ووضع القاباً جديدة للشرف وهي برنس ومركيز وكونت وفيكونت وبارون

*
* *

بدأت حركة الانقلاب الحديث فى اليابان مدفوعة بعامل كراهة الاجانب والنفور منهم والاستياء من ترك البلاد لعزلتها ثم مالبثت حتى تحول تيارها ووجهت في

طريق الاصلاح والتمدين لمقاومة أولئك الغرباء الذين ضربوا الثغور بمدافعهم وأرغموا الامة على قبولهم وأنذرت مقدمات سلوكهم بسوء النتيجة

فالمحرك الوحيد لليابانيين في نهضتهم ضد الاجانب أولا ثم في سيرهم هذا السير السريع في طريق المدنية ثانيا هو حبهم الشديد لوطنهم وتفانيهم في سبيل سؤدده ومجده . وقد ظهرت هذه الوطنية الراقية في أجلي وأجمل مظاهرها يوم أسس الميكادو حكومته النظامية ورأى الاشراف وأصحاب الالتزامات والساموراى ان مصلحة بلادهم تقضى بزوال تلك الحواجز التى كانت بين طبقات الشعب وبعضها وايجاد المساواة بين كافة الافراد وان النظام الحديث يجب أن يكون مخالفا للنظامات القديمة . فتقدموا جميعا عن طيب نفس للميكادو متنازلين عن حقوقهم وترك الاشراف الاراضى للزراع مقابل ما أعطته الحكومة لهم من المال . ونسى الساموراى امتيازهم القديم ودخلوا في جمهور الامة . وتخرج منهم الجندى الباسل والبحرى الماهر والموظف الامين والسياسى المحنك والكاتب

البليغ والخطيب المؤثر والزارع القوى الذراع. ودبت في الامة حياة جديدة وعمتها روح بشر وقوة. وتكاتف الصغير مع الكبير والفقير مع الغني لاسعادها واعلاء شأنها . ولم يأنف الامير من مخالطة الوضيع حبا في المصلحة العامة . ورأى الاشراف بعيون الفرح والارتياح أبناء اتباعهم الساموراى يقودون أزمة الحكومة والدولة ويسوسون أمورها في الداخل والخارج

وهو حال لا يبالغ الانسان اذا قال انه لم ير ولم يرو. وأى وطنية أرقي من هذه ؟ تلك الوطنية التى يضحى المرء لاجلها الامتيازات الموروثة من قرون وأجيال والحقوق المقررة والكلمة النافذة والمقام العالي . تلك الوطنية التى جمعت أمر شعب كان شعوبا وأمراء كانوا متنافرين متباغضين . تلك الوطنية التى نقلت القوم من عصور الجاهلية والظلمات الى زمن المدنية والنور والرشاد

ومما ضاعف هذا الشعور ان اليابانيين لبثوا من أول أيامهم الي هذا اليوم يقدسون الميكادو ويعدونه سليل الآلهة ولا ينظرون اليه الا بالتبجيل والتعظيم مهما طوحت بهم

زوابع السياسة وعواصفها . فلما قاموا من عميق رقادهم ونهضوا من غفلتهم وعزلتهم رأوا أمامهم رجلا لم يجلس على العرش ويقبض بيده على صولجان الملك لينتقم لعائلته وبيته من اهمال عشرة قرون ويستبد بالامر . بل ليقود شعبه الي أرقي غايات الحضارة والمدنية والرفاهية والقوة ويريه انه لايجد السعادة والسيادة الا في ظل رايته . وهكذا اذا اجتمع جلال الملك بالمقاصد الحميدة عاشت الرعية في بحبوحة الرغد والهناء وخفقت فوق الرؤوس ألوية العظمة والعلاء

وقد أتي اليابانيون في نقلهم مدنيـة الغرب الى بلادهم بما أتوه في القرنين السادس والسابع في نقل مدنية الصين. فأرسلوا الارساليات الي أوروبا وأمريكا واستعانوا بعلمائها وأخذوا قوانينها وأقاموا نظاما يشابه نظامها . وجندوا الجند على طرازها وأنشأوا البوارج في البحر كأحسن بوارجها وتزيوا بزيها . وحافظوا علي المركز القديم للمرأة في الهيئة الاجتماعية مع منحها حرية الاجتماع . ثم أخذوا بعد ذلك يبحثون فيما يوافقهم ومالا يوافقهم .وهجر الكثيرون ممن ليسوا

فى الحكومة ملابس الغرب مفضلين الازياء القديمة لبلادهم وخيراً فعلوا

وليست ملكة التقليد وحدها هى التي سهلت لليابانيين فى عهد المدنية الصينية وفي هذا العهد الاخير نقل معارف الاجانب وعلومهم الى بلادهم . بل أيضا ميلهم الشديد لكل جديد وشغفهم بكل أمر مجهول وتطلعهم لاحوال العالم وما يجرى فيه . وفوق ذلك كله رغبتهم الكبرى فى جعل وطنهم أسعد الاوطان وأرفعها ذكراً وأكرمها مقاما

ولذلك لاعجب اذا كانوا خطوا في خمسة وثلاثين عاما تلك الخطوات الواسعة وأدركوا ذلك الشأو الذي نغبطهم عليه وننظر اليه باعجاب واكبار

—o*~*o—

الميكادو

الميكادو وعائلته . أخلاقه وفضائله . أعماله

هو « متسوهيتو » أكبر ملوك اليابان مجدا وأرفعهم ذكرا وأعزهم شأنا . مخرج المملكة من غياهب الجهالة والانحطاط ومنقذ بلاده من خطر التداخل الاجنبي والسيادة الغربية . ومعيد عظمة الشرق ومحيي دارس رفعته وواهب الدستور لشعبه بأرادته . وحامل لواء الحرية ورافع منارها

هو الملك العادل الحازم القادر القاهر المدبر الحكيم الذي مهما وصفه الكاتبون وبالغ في نعته الواصفون لايدركون الحقيقة ولا يوفونه حقه من التجلة والاعظام . وكيف لا وهو الملك الوحيد الذي ملأ أرجاء بلاده عدلا وحرية غير مقهور ولا مسير . الذي منح أمته الدستور وتنازل لها عن جزء من حقوقه بدون أن تسفك في البلاد نقطة من

الدماء أو يرتفع فى وجهه صوت بمطالبة . الذى أدرك في حياته مالا يحلم أكبر القياصرة والملوك ببلوغه فى قرن كامل. الذى لم تغره عظمة مقامه ورفعة مكانه ونسبته للآلهة وعبادة أمته له. الذى لم يبعده صولجان الملك وجبروت الحكم عن الطريق السوي والصالح العام . الذى ضرب لملوك الارض وأمبراطرة الزمان مثلا أذهل منهم العقول وأدهش الالباب وجعلهم في حيرة من أمره . الذى جني ثمرات غرسه بنفسه ورأى قومه فائزين منصورين فى البر والبحر غالبين في كل ميادين الحياة بفضل همته وسهره الليالي والايام. الذي أخرج لليابان رجالا عظماء لايحاكى دهاءهم وذكاءهم وسمو آرائهم الا حبهم لبلادهم وشعورهم بانهم مدينون لها بكل لحظات العمر ونسمات الحياة

فأكرم بهذا الملك الذى لولم يكن لليابانيين من المفاخر الا انه ملكهم لكفاهم شرفا وفخرا

ولد « متسوهيتو » في مدينة « كيوتو » يوم ٣ نوفمبر عام ١٨٥٢ أى انه يبلغ الآن من العمر ٥٢ سنة وهو الولد الثانى

للأمبراطور «كومي تنو» والامبراطورة «فوجيوارا أزاكو» وقد تولى الأمر بعد أبيه لموت أخيه الأكبر . وأعلنت ولاية العهد له في ١٠ نوفمبر عام ١٨٦٠ وارتقى العرش بعد وفاة والده في ١٣ فبراير عام ١٨٦٧ وتوج في مدينة كيوتو يوم ١٢ اكتوبر عام ١٨٦٨ والبلاد خارجة يومئذ من عهد حكومة الاشراف والالتزام الى العهد الجديد . وهو الميكادو الثالث والعشرون بعد المائة . وفي يوم ٢٣ من شهر اكتوبر لعام توليته أطلق لقب « ميجي » على حكمه . وهي عادة قديمة عند اليابانيين والصينيين . يطلقون على كل حكم لقباً خاصا به ويعتبرونه دليل استقلال الدولة

ولفظة «ميكادو» معناها في اللغة اليابانية «الباب العادل» ولا يستعملها اليابانيون الا في الشعر وهم يعبرون عنه باسماء مختلفة منها «تن سى» أي سليل السماء . و«كوتاي» أى الأمير و «شنجو» أى السيد الأعلى . و«تنو» أي الامبراطور الأله . ولكن الحكومة تكتفي بلفظ «امبراطور»

واقترن الميكادو في ٩ فبراير من عام ١٨٦٩ بالأميرة

« هاروكو » ويسميها الشعب « امبراطورة الربيع » لجمالها ورقتهاوظرفها وجلالهـا . وهي مولودة فى٢٨ مايوعام ١٨٥٠ أي انها أكبر من الميكادو بأشهر قلائل . وهي من سلالة بيت « إيتشيجونا داكا ».وهو قديم في الشرف ومن الصف الأول في العائلات الكبيرة

ولم يرزق الميكادو من الامبراطورة بأولاد . ولكن لما كانت عادة التسري موجودة في اليابان كبقية بلادالشرق فقد اتخذله جملة سراري رسمية أشهرهن « هامورو .وميتسوكو وهاشيموتو .وماتسوكو . وياناجيوارا أيكو . وتشيجوزا تاداكو .وسونوياشيكو» وهن محترمات كثيراً ويعاملن بغاية التبجيل .

وقد ولد للميكادو منهن ثلاثة عشر ولداً خمسة ذكور وثماني اناث . ولكن أربعة من الذكور ماتوا ولم يعش الا الولد الثالث وهو «يوشى هيتو» ولى العهدالحالى. وقد والد فى ٣١ اغسطس عام ١٨٧٩ وأعلن وارثاً للملك يوم٣١اغسطس عام١٨٨٧ أى عند اتمامه الثامنة من عمره ووليا للعهد يوم ٣



—☆﴿ الامبراطورة « هاروكو » ﴾☆—

نوفمبر عام ١٨٨٩ واقترن في ١٠ مايو من عام ١٩٠٠ بالأميرة « سادا » ورزق منها غلاما ذكرا فى ٢٩ أبريل عام ١٩٠١.

وكانت العادة قبل الانقلاب الحديث ان الميكادو يتزوج في قصره بلا احتفال رسمي وبغير حضور رجال الدين أو رجال الدولة . فقرر المجلس الذي عقد في سنة ١٨٩٨ تحت رئاسة المركيز إيتو لوضع نظام خاص بالعائلة الامبراطورية اعلان الزواج رسميا . ولما اقترن ولي العهد جرت الرسوم الجديدة فترك الزوجان قصريهما فى الصباح مبكرين وذهبا عن طرق مختلفة الى قصر الامبراطور . وكانت الاميرة « سادا » لابسة الملابس اليابانية القديمة الخاصة بكبيرات نساء البلاط الامبراطوري ووصلت قبل ولى العهد بنحو نصف ساعة اظهاراً لتميز الرجل على المرأة . وكان الامير بزيه اليابانى. وبعد ان استراحا قليلا في القصر قصدا معبد « سينوتاف » وتقدم رئيس التشريفات أمام الامير وتبعه أحد رجال الحرس الامبراطورى حاملا للسيف المقدس . وتقدم الاميرة أحد رجال التشريفات وسار بجانبيها سيدات من رفيقات الشرف .

وجرت الحفلة الدينية بغاية البساطة .فقدم الزوجان في المحراب أوراقا نباتية خضراء وقرآ بعض الاقوال الدينية وشربا شراب « الساكى » الذائع شربه بين اليابانيين . ثم انسحب كل من الزوجين الي قاعة وغيرا الملابس اليابانية بأخرى أوروبية وعادا الى قصر الميكادو حيث هنأهما جلالته وجلالة الامبراطورة وشربا كالعادة « شراب التهاني » ثم توجها الي قصرهما في عربة امبراطورية يجرها أربعة من جياد الخيل مارين من أهم شوارع المدينة بين الالوف المؤلفة من الجماهير الفرحة المسرورة

وقد قضى نظام بيت الملك في الدستور الحديث أن النساء لا يحكمن اليابان متبعاً في ذلك نظام أغلب الممالك الاوروبية ومخالفاً النظام القديم لليابان

وقد كان بعض عقلاء اليابانيين يودون ابطال عادة التسرى من قصر الامبراطور وتقرير جعل الوارث الشرعى للملك من أولاد الامبراطورة دون غيرها .ولكن تعذر ذلك في حكم الميكادو الحالي لان له من السرارى من ذكرنا ولان ولى العهد نفسه من احداهن



—☼{ ولي عهد اليابان }☼—

ويقضي نظام بيت الملك كذلك ان الوارث للعرش يكون الولد الاكبر وسلالته . فاذا مات أو انقرضت سلالته ينتقل الملك لاخوته فأولادهم . ومن بعدهم لاخوة الامبراطور فاولادهم ثم لاعمام الامبراطور فاولادهم ثم لاقرب الامراء للميكادو

* * *

أجمع الكتاب والسياسيون الذين قابلوا الميكادو على انه وديع الاخلاق حليم ـ وترجمة اسمه « متسوهيتو » الرجل الحليم ـ لطيف جذاب . وأن ملامحه وحركاته وأقواله تدل على ارادة حديدية وهمة لاتعرف الملل ولا الكلل وذكاء وقاد وتبصر وتأمل وقوة فى الخاطر والشعور . وهو على جانب عظيم من الشهامة ميال للعدل مولع بالاعمال العظيمة والفروسية وتضحية النفس في سبيل الوطن . ورغماً عن تمجيد رعاياه له ذلك التمجيد الذى لايختلف عن العبادة فانه غير مغرور بنفسه ولا بلقب عائلته « تنو » الذى معناه «الامبراطور الاله »

فهو يعمل كبقية رعاياه ويتعب كثيرا . ولو كان يظن في

نفسه الالوهية أوما يقترب منها لما أنهك قواه الى هذا الحد في شؤون أمته وكل مايعود عليها بالخير والرفاهية . ولكنه اعتقد من صغره ورباه أبوه على هذا الاعتقاد بان الملك لا يكون كبيرا عظيما قويا محترما من أمته ومن بقية الأمم الا اذا نهض بالمملكة وأوصلها الي أسمى مقام يليق بها . فلم يترك شيئا حتى بحث فيه بنفسه ولم يشرع في أمر حتى دقق النظر فيه . ودرس أحوال أوروبا وسير حكوماتها وأسباب تقدمها دراسة تامة وأحاط بأمور جنديتها وبحريتها إحاطة كاملة وتلقى على العرش المبادئ الضرورية لتسيير سفينة الحكم الى شاطئ السلامة . ومقدرته على العمل هائلة لا يفوقها الا جلده وصبره . وقد يقضى الساعات الطوال على مكتبته لتلاوة تقرير أو مناقشة وزير من وزرائه في أمر هام . وهو يستشير كثيرا «مجلس القدماء» الذي شكله من كبار الخدمة السابقين للدولة وكلهم مجربون يعول على آرائهم

ومن صفاته انه جسور شجاع يحب ركوب الخيل والرماية ويقول من الشعر أجوده وأبلغه . وهو لم يخش تحمل المسؤولية

بنفسه في أمور كثيرة وتغطية أعمال وزارته التي لم يكن الشعب يعرف غايتها بستار الملك . وهو يقود أزمة بلاده غير خائف خطر هذه السياسة لعلمه برشادها وصلاحيتها لقومه. ويعتبره أكبر وزراء اليابان رجلا من عظماء الرجال ويقولون انه لولم يكن الميكادو لكان أعظم ساسة المملكة

وتراه اذا حضر استعراضا عسكريا يبدي لوزير الحربية أدق الملحوظات ولا تهمه الرسميات ومظاهر التعظيم بل يقصر نظره على سير الجنود وحركاتها. واذا أعجبه أمرهم تقدم اليهم بنفسه وخاطبهم بأرق العبارات المشجعة التي يحفظونها وينقلونها الي أولادهم ويعدونها أشرف مانالوه في الحياة

وقد اعتني بتربية ولده الوحيد وولى عهده عناية كبرى وطلب من أساتذته أن يجعلوه جديراً بقيادة أمته التي يسميها «أقوي أمة في الشرق وأشرف شعب فى العالم» فنشأ كأبيه مقدراً عظمة الملك حق قدرها عالما بمسؤولية الحكم ومركز اليابان بين دول الأرض وتعلم من اللغات الاجنبية الفرنساوية والانكليزية ودرس التاريخ بعناية واهتمام . وأظهر حبا لمعرفة كل جديد

وشغفا بمستقبل أمته ورقيها. وقد خاف الميكادو وعائلته على صحته فى طفوليته ولكنه صار الآن قويا يتحمل ركوب الخيل الساعات العديدة ويحضر المناورات الحربية ويتتبع سير الجنود باعتناء فائق ويشركه والده معه في تقرير المسائل المهمة وحل المعضلات ويعوده على السياسة ويدربه على الحكم ويعرفه بأسرار الدولة. وبالجملة يعده لأن يكون خير خلف لأعظم امبراطور تولى أمر اليابان منذ خمسة وعشرين قرنا مضت الى اليوم

*
* *

لم يجلس الميكادو على عرش آبائه العظام حتى وجه همته لترقية مملكته واعلاء شأن شعبه وصرف نفيس وقته وماله في جعل اليابان قوية فى الداخل والخارج حرة سعيدة ممتعة بالعدل والعمران . واذا كان أسعده الزمان بتحقيق أهم أمانيه وأسمى مقاصده في حياته فانه لايجوز لاحد من الرعاة أو الرعية أن يحسده على ما نال من نعمة دونها كل النعم . فهى المكافأة الحقة والجزاء العادل . لانه اشتغل بكل فرع من فروع الحياة وله الايادى البيضاء فى كل ارتقاء . وما من حسنة يراها الانسان

في اليابان أو عمل عظيم يعجب به الا وهو غارسه ومنبته وحافظه

وقد جمع في أوائل عام ١٨٦٩ أى بعد ارتقائه العرش بأشهر معدودة أعضاء اسرته وكبار رجال مملكته في قصره والقى عليهم خطبة تردد صداها من شمال اليابان الي جنوبها ومن شرقها الي غربها حيث أقسم فيها بأن يقوم باجراء كافة الاصلاحات ومراعاة الحقوق الشخصية واعلان سيادة العدل على الجميع . وهي أول خطبة ألقاها في حياته وقد قال فيها ماترجمته :

« انى أعلم أن لا رقي بلا عدل . وان العدل أساس الملك . وأقسم بشرفى وشرف أجدادى انى سأبذل جهدى في توطيد دعائم العدل والسير ببلادى في طريق الرقي والنعيم . وأن تكون البلاد محكومة بمقتضى دستور وهيئة نيابية . وأن تنفذ المشروعات النافعة والقوانين باشتراك الحكام والمحكومين . وأن استميل بقدر ما فى الامكان الاشراف وأصحاب الامتيازات حتي يفضلوا الحكومة الجديدة على القديمة . وأن تترك الاوهام والعوائد الضارة لتكون العدالة هي القوة الفعالة في البلاد . وأن

تستمد الافكار الجديدة من العالم كله ليزداد مجد المملكة

واعلموا ان هذا اليوم هو أول أيام الترقي. وان لي أملا كبيراً في مستقبل اليابان وأن أراها سيدة الثقلين ورافلة في حلة من العز والسعادة »

وقد كان هذا الخطاب كمعول لبناء التأخر والانحطاط فأخذت الهمم تمو والعزائم تقوى وترتبط واندفعت اليابان بقوة في تيار التقدم العصرى. ونفذ الاصلاح الداخلى فيها بالغاء الالتزامات وحقوق الاشراف في عام ١٨٧١

وقد أظهر الميكادو عناية زائدة بكل أمر حيوي من أمور بلاده. فخرج في أول يناير عام ١٨٧٢ لزيارة الاسطول الذي كان لايعتد به يومئذ بجانب أساطيل الدول الاخرى. وعد الناس خروجه من قصره حادثا خارقا للعادة فلم يبق فى «طوكيو» شيخ ولا شاب ولا امرأة ولا فتاة ولا كبير ولا صغير حتي هرع لرؤيته. ولما وصل الى مدينة «يوكوزاكا» وزار دار الصناعة البحرية فيها وتفقد الاسطول أعجبه كل شئ وأظهر مزيد ارتياحه مما رآه. غير انه حدث انفجار فى مرجل مملوء

بالحديد السائل أثناء مروره فوقع بعض النقط على ملابسه فأطرق برأسه قليلا ثم تبسم وقال لافراد أسرته وعظماء دولته الذين كانوا في معيته : «يظن القوم أني إله معبود وما أنا الا بشر مثلهم تفوق أعمالى أعمالهم بالحكمة والسداد »

ومن ذلك الحين كثرت زياراته للمدارس والمعامل والثكنات ومصالح الحكومة وصار مثالا للنشاط والجد واحتقار الترف والخمول وفي شهر ابريل من ذلك العام زار الميكادو المدرسة الكبرى بطوكيو واختبر تلاميذها بنفسه وأدهش الحاضرين بأسئلته وحدث الفقراء والاغنياء من الطلاب على السواء وحضهم على تحصيل العلوم لخدمة الوطن وإسعاده وتأييد الوطنية وبثها فى النفوس . وقد أحدثت كلماته تأثيراً سحريا لان اليابانيين لم يعتادوا سماع مثلها من ملكهم الذى كان لا يتكلم الا فى قصره وبكلمات معدودة . ولما خرج من المدرسة وجد الطريق مسدوداً من ازدحام الجماهير العديدة التى تركت دورها لرؤية أمبراطورها العظيم

وبعد ذلك أصدر أمراً باجتماع كبراء المملكة في قصره فى جلسة استثنائية وأبان لهم رغبته في غرس العلم الصحيح والآداب الراقية في البلاد فانحنوا أمامه شكراً لعواطفه . وتقرر تأسيس كلية تسمى « الكلية الامبراطورية اليابانية » وإرسال النابغين من أبناء الفقراء مع أولاد الاغنياء الي بلاد أوروبا وأمريكا بعد أن يتموا العلوم ببلادهم . وقد أنفق الميكادو من ماله الخاص علي الكثيرين منهم ولم يدخر شيأ في سبيل ايجاد الرجال ذوي الافكار الرشيدة والمعلومات الواسعة والهمم العالية . ولا نبالغ اذا قلنا ان اليابان مدينة له بأكبر ساستها وفحول رجالها

ولما وضع الحجر الأول من بناء الكلية الامبراطورية أعدت الحكومة اليابانية احتفالا فخما حضره الامراء والعظماء بملابسهم الثمينة اليابانية وأقبل الامبراطور عندئذ في موكب لم ير له مثيل من قبل حيث شوهد تغيير عام في كل شئ . فرأى الناس الجند بأزياء غربية متقنة والميكادو في حلة قائد غربي وعلي صدره وسام « الشمس المشرقة » خلافاً لعادة أجداده الذين كانوا يضعون الوسامات علي رؤوسهم

وبعد ان رحب به وزير المعارف وهو ساجد بين يديه وأمل السعادة للبلاد في حكمه . التفت الى الحاضرين وقال :

« ربما أدهش رجال ونساء وأطفال مملكتي اعتنائى الشديد بتشييد دور للعلم . ولكني أقول لهم ان أرض بلادنا تسع عظمة ممالك الارض ونفوس أمتنا صيغت من ترابها . فلم لاتكون اليابان مصدر العرفان ونحن من سلالة أقدم قياصرة في العالم . وانه لابدلى من تنفيذ آمالى ونشر المدارس والمعامل في انحاء البلاد وايجاد صدور مدربة بالعرفان تقى الاوطان شر طوارئ الحدثان وتبعث الحياة في جيراننا وكل من يريد الاقتداء بنا والاستفادة منا. وإننا لانستطيع أن نحدد عدد آلات الرقي التى سننشئها ولكنه يمكننا أن نؤكد أن ماسيبني من دور للعلم فقط لايقل عدده عن عدد الحجارة التي ستشيدبها هذه الكلية . فاهنأوا واسعدوا واعملوا معنا لرفعة الأوطان »

وما انتهي من خطابه حتى هتف القوم له بالدعاء ودون

أصواتهم قصف المدافع ودوى الرعد في السماء

ولما حرقت مدينة طوكيو في ٣ أبريل من تلك السنة نفسها (١٨٧٢) ودمر منها نحو ٥٠٠٠ بيت أظهر الميكادو همة شماء في الأخذ بأيدى الفقراء والمحتاجين ونظمها تنظيما بديعاً وفي ذلك العام عزل الموظفين الغير اللائقين وعين المتعلمين وانتخب المسيو « كاتسو » وزيراً للبحرية وهو الذى وضع النظامات الأولي لها والخطط التي اتبعتها في رقيها وزيادة عدد بوارجها وجعلها على نسق البحرية الانكليزية مستعينا بآراء المركيز « إيتو » الذى يعتبر التاريخ الحى لليابان الحديثة

وترك الميكادو مدينة طوكيو في أواخر يونيه من تلك السنة الحافلة بالحوادث المهمة والاصلاحات الكثيرة وركب باخرة يقودها المسيو «أكاماتسو» الذى تخرج من مدارس هولانده بقصد زيارة جزيرة كيوشيو . وهى أول مرة من اثني عشر قرنا ترك فيها الميكادو عاصمة ملكه . وبعد زيارته لهذه الجزيرة قصد مدن نجازاكى وأوزا كاونارا كيوتيو وغيرها ثم عاد الى العاصمة في ١٤ اغسطس

وفى هذا العام أيضا مدت السكة الحديدية بين طوكيو ويوكوهاماوحدث بها ارتقاء كبيرفي التجارةوحركةالمعاملات وأرسلت الحكومة سفيرين وثلاثةقناصل للخارج

وفي سنة ١٨٧٣ قرر الميكادو جعل الحساب الجريجورى رسمياً في المملكة . وفي سنة ١٨٧٤ أرسل تجريدةالى جزيرة « فورموزه » المشهور قرصانهابقوةالبأس والشجاعـة وا كل اللحوم البشرية . وطالما تحطمت المراكب العديدة بجوار هذه الجزيرة . ولكن الميكادو بعث المهندسين المـاهرين فوضعوا فيهـا الفنارات لارشاد السـفن . ولم يمض الا زمن قليل حتى احتلهاجنوده ونشرت ألوية السكينة فيها وانجلت عنها بعدان دفعت الصين لليابان التعويضات المـالية الكافيـة الوافية.

وفي سنة ١٨٧٦ قرر الميكادو الغاء حمـل السيفين وهي العادة التي كانت تميز الساموراى عن غيره من الاهالى وبذلك تم اتحاد الأمة وعمت المساواة بين سائر الافراد

ولم يحقق الميكادو رغائبه بسهولة ويدخل الاصـلاح في

بلاده بغير معارضة أومقاومة بل وجد صعوبات تستحق الذكر أهمها ثورة « ساجا» في عام ١٨٧٤ وثورة المارشال «سايجو» في «ساتسوما » عام ١٨٧٧ .وقد قامتا ضد النظامات الأوروبية واضطر الميكادو لاخمادهما وهو آسف على قيام المارشال « سايجو » فى وجهه لانه كان أكبر أعوانه فى تقويض معالم سلطة الشجن فضلا عما له من المكانة السامية فى نفوس اليابانيين جميعا . وقدجرح المارشال فى الواقعة وأمر انصاره أن يريحوه من الحياة فقتلوه فى ٢٤ سبتمبر من ذلك العام

ونظراً لما كان عليه من الشهامة والوطنية الصادقة التى ظن معها ان دخول النظامات الاوروبية في البلاد مجلبة للشر والوبال ولم يدرك مقاصد مولاه أصدر الميكادو أمراً فى عام ١٨٨٨ برد ألقاب الشرف والوسامات اليه أى بعد موته بأكثر من عشر سنوات . وهي عادة قديمة فى اليابان تسمح للميكادو بأن يمحو من حياة أى انسان ما أساء سمعته بين بني وطنه

وبموت المارشال « سايجو » مات الحزب القديم

وانتهت مقاومة الاصلاح

وفى عام ١٨٨٠ نشرت القوانين الجديدة. وفى عام ١٨٨٩ أعلن الدستور فانشرحت الصدور وابتهجت الخواطر ودخلت الامة فى دور جديد كله حرية وسعادة وتوطدت أساسات الحكومة وتحددت سلطتها وحقوقها كما وضحت حقوق الشعب وواجباته . وفى ١٨٩٤ حاربت اليابان الصين ورأى الميكادو ثمرات جهاده في ترقية الحربية والبحرية وأخذ العالم المتمدن ينظر الى بلاده نظرة فيها شئ من الاحترام والاكرام بعد ان كان يعدها فى مصاف بقية الممالك الشرقية . وفى عام ١٨٩٧ قرر الميكادو تداول العملة الذهبية فى مملكته . وفى عام ١٨٩٨ نشر القانون المدني ونفذت المعاهدات الجديدة التي أبرمت بين اليابان والدول الاجنبية ومحيت فيها الامتيازات الدولية القديمة وصار الاجنبي يعامل فى دولة الميكادو بمقتضى قوانينها ويحاكم أمام محاكمها

وفى عام ١٩٠٠ اشتركت اليابان مع الدول الاوروبية فى انقاذ السفارات الدولية ببكين وأظهرت جنودها من

البسالة والاقدام والنظام ما أدهش الغرب والشرق وأبان للعالم كله كفاءتها واستعدادها حيث دخلت عاصمة الصين كتفا لكتف مع الجنود الروسية قبل جنود الدول الاخرى ولم ترتكب فظيعة واحدة باعتراف سفراء أوروبا ومراسلي صحفها

وفى عام ١٩٠٢ أمضت حكومة الميكادو معاهدة التحالف الانكليزى اليابانى وأخذت بذلك مركزا مخصوصاً بين الدول واعترف الكل بمقامها وقوتها . وهاهي الآن تحارب الروسيا وتظهر للعالمين من آيات القوة والتدبير والوطنية والشجاعة ما يحير العقول ويحمل ألد أعدائها على الاعتراف لها بهذه المزايا الجميلة الجليلة التى قصرت فى ادراكها دول تنتهى اليها ضخامة الملك وعظمة السلطان . وأى مفخرة لليابان أكبر من قول أشد أصدقاء الروس وأكبر حلفائهم . «اننا ننتصر للروس ونعجب باليابان ! »

نعم يجب على كل ذى شعور عال واحساس رفيع أن يعجب بأمة هذا حالها وتلك خلالها وفي أبنائها وطنية تنقل الجبال وحمية تدك الرواسخ ونفوس تدفع بعشرين ألف واحد

منهم لأن يتقدموا فرحين مبتهجين لسد مدخل بورآرثر

وليس بعجيب أن يكون الميكادو «متسوهيتو» هو ملك هذه الأمة وقائدها ومرشدها . فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «كما تكونوا يولى عليكم» . فصفاته من صفاتها وأخلاقه من أخلاقها وأمياله من أميالها وعواطفه من عواطفها. وبفضل نخوته ووطنيته رأت اليابان أولئك الرجال العظماء الذين رفعوا ذكرها وأعلوا شأنها وبنوا لمجدها وعظمتها وسدوها بناء لا تمسه يد الزمان

وان الحاسب ليعجز اذا أراد أن يحصى ما أنفقه الميكادو في سبيل ترقي بلاده . فهو لا يعرف للمال الا مزية واحدة وهي إيجاد الرجال وإحياء الأمة .ولذلك كان أول جواد في وطنه لخير وطنه شأن الملوك العارفين لواجباتهم

ولما وضعت حكومته بارشاده مشروع زيادة القوى البحرية عقب حرب الصين عرضته على مجلس النواب فأبى الموافقة عليه لكثرة ماتحملت الأمة من ضرائب . فحملت الوزارة جواب المجلس الي الميكادو وهي في حيرة وارتباك فتقبله

متبسما وأخذورقة وخط عليها أعداداً ثم التفت الى وزرائه وقال « المجلس مصيب في رأيه . ولكن لا بد لنا من تنفيذ مشروعنا وقد رأيت اني لو خصصت عشر مرتبي ومرتب عائلتي واقتدى بقيـة الموظفـين بي لـكان ماأردنا بدون زيادة الضرائب » وبالفعل تنازل عن عشر مرتبه ومرتب عائلته وماخير الموظفون في الاقتداء به حتى فعلوا جميعا وهكذا تم في عهده من العظائم مالايجاريه فيه أحد من المتقدمين والمتأخرين . ولو أتاح الله النصر التام على الروسيا لتوج حكمه بالتاج الذى يستحق

وانه يحق لـكل فرد من دولة هذا ملكها وعلى مبادئه يربي ابناؤه وأبناؤها أن يقول بملءفيه : «لن تبيد هذه أبدا»

أعوان الميكادو

المركيز ايتو . الكونت أوكوما . الكونت ايتاجاكي . الكونت اينويي . البارون أوكوبوتوزيمتسى

لم تر مملكة من الممالك عصراً ظهر فيه على مرسح سياستها جماعة من عقلاء الرجال وكبار الساسة مثل هذا العصر الذى خرجت فيه اليابان من عزلتها ودخلت في الجمعية الانسانية مسلحة بأسلحة العلم والقوة . ولا غرابة في ذلك فقد اتفق الحكماء والفلاسفة على أن الملك اذا كان عادلا رشيدا ميالا لخير الرعية اجتذب نحوه أجل الناس فطرة وأكبرهم ذكاء وأوسعهم إدراكا . وبالعكس لا يلتف حول محب الفساد والانحطاط الا الجهلة والدساسون

وقد كان الميكادو « كومي تنو » والد الميكادو الحالي من أحسن الملوك طبيعة وأميلهم للترقي والخير فبدأ بارسال الارساليات إلى أوروبا لتخريج الرجال النافعين . واقتدى به ابنه وقرب اليه كل ذي رأى سديد وأعلى مقام كل خادم أمين

فما لبث على العرش الا قليلا حتى كان نصاحه ومستشاروه من خيرة الرجال وأدراهم بحاجات البلاد . وكما ان إرادة الامبرطور غليوم الأول أخرجت لبروسيا والمانيا « بسمارك » أكبر ساسة القرن التاسع عشر و « دى مالتك » داهية الحروب . فان إرادة الميكادو « متسوهيتو » أوجدت لليابان أولئك العظماء الكبراء الذين يحسدها الغرب عليهم وتندب بعض ممالكه عدم وجود أمثالهم فيها

ولو أراد الانسان أن يوفى كل واحد منهم حقه لوجب أن يضع مؤلفا خاصا بهم . لأنهم يمثلون الهمة والارادة والمعرفة والوطنية فى مظاهرها العالية . ولأن بأمثالهم تحيا الأمم والبلاد وترقى الممالك والدول . ولاشك ان أخصهم بالذكر هم المركيز إيتو والمارشال « يماجاتا » الذى يجيء الكلام عليه فى فصل الحربية والبحرية . والكونت أوكوما والكونت ايتاجاكى والكونت اينويي والبارون أوكوبو توزيمتسى . وغيرهم من عمال الاصلاح والارتقاء كثيرون . ولكننا اكتفينا بذكر شيء عن هؤلاء ليعرف منه القاري كيف يكون الرجال الامناء المخلصون لاوطانهم



—•﴿ المركيز « ايتو » ﴾•—

المركيز ايتو

أصاب الغربيون فى تسمية المركيز إيتو « بسمارك اليابان » لانه الرجل النابغة الذى لم يدخل اصلاح فى بلاده الا وكان له يد فيه . ولم يتم لها عمل نافع أو ارتقاء كبير الا وكان الساعد الاقوى للميكادو فى وضعه وتميته . فبينما تراه فى المالية ينظمها مع الكونت أوكوما تجده يراقب حركة المدارس . وبينما هو يدير دفة السياسة الخارجية تقرأ له لائحة للبواخر والبحرية . ولا تسمعه يخطب فى النواب ويتلو على أمته الحقائق حتي تبصره يدبر مع الميكادو حرباً أو تجريدة أو فتحا جديدا

فهو التاريخ الحى لليابان الحديثة . حياته من أربعين عاما حياتها ومجهوداته مجهوداتها ومصاعب عمره مصاعبها وآلامه آلامها وأفراحه أفراحها ومفاخره مفاخرها . وقد تعين وزيرا سبع مرات وتولى رئاسة الوزارة أربع مرات . ولبث طول حكم الميكادو أقرب مقرب اليه وأعز سياسى لديه . يبدى الرأى فيتبعه المئات والألوف من نخبة اليابانيين وجماهيرهم

ويشير الاشارة فتقتدي به طبقات الامة على اختلافها . وهو الذى مثل اليابان في كافة مخابراتها مع دول أوروبا فرأين فيه السياسى المحنك والدهاءفى صورة انسان

ولدالمركيز «هيروبومي - أي الرجل الشهم - إيتو» فى عام ١٨٤١ بولاية « شوشو » من اب ساموراى فتربي تربية هذه الطبقة وشب بين أفرادها ودخل فى خدمة حاكم مقاطعة « نجاتو » . واتخذ « اينوبى » الصديق الامين على أفكاره وكان من أيام نشأته الاولى ميالا للعلوم والآداب مغرما بمعرفة مايجرى وراء البحار . فلما أخذ الأوروبيون يفدون على اليابان واضطروها لفتح ثغورها أمامهم قامت المشاكل بينهم وبين هذا الحاكم فأشارعليه« إيتو »وصديقه « إينوبى » بان لايحاربهم حتي يتأكد من قهرهم والتغلب عليهم ومعرفة أسرارقوتهم واقترحا عليه ارسالهما الى أوروبالدراسة أحوالها والوقوف علي نظاماتها وعددها وآلاتها . فلم يصغ الحاكم لاقوالهما وقاوم الأوروبيين حتى هزمته مدافعهم وعددهم الحربية .وكان جزاء من أبديا له الرأي السديد وقدما

النصيحة الصادقة أن أثار أعداؤهما الشعب عليهما وحرضوه ضدهما بدعوى انهما أصل الهزيمة وسبب الخيبة . فبحث الثائرون عليهما فى كل مكان حتي وجدوا «اينويى» فى الطريق وضربوه الضرب الموجع وما تركوه الا بعد ان ظنوه ميتاً . ثم ذهبوا يجدّون فى طلب «إيتو» وكان يهوى فتاة من الراقصات ـ وهن مشهورات فى اليابان باسم « جيشا » ـ ويقضى الليل عندها فجاءه صديق وأنذره باقتراب الثائرين من دارها فحار في أمره . ولكن الحب كما يضل أحيانا يهدى الى الرشد والصواب حينا ! فوضعته الفتاة تحت الفراش ونصبت طستها للاستحمام فوقه . ولما جاء الثائرون وسألوها عنه قابلتهم بكل سكينة وثبات جأش وقالت لهم : « لقد خرج من زمان » واستمرت تتناول الماء أمامهم لاتمام الاستحمام . فدخلت الحيلة عليهم وثبت عندهم صدق قولها لما رأوها على هذه الحالة وبعد ان تعبوا فى البحث عنه فى أركان الدار

وبذلك أنقذت راقصة اكبر ساسة اليابان من خطر الموت .

فانظر بأي الاشياء تعلق حياة الرجال ! !

وبعد ذلك استدعاه الميكادو « كومي تنو » وعينه في احدى الوظائف ثم طلبه وقال له :

« ان عندك الاستعداد الكافي لان تكون رجلا سياسيا وربما صرت يوماً ما أكبر وزراء اليابان . ولكنك لا تكون كذلك إلا اذا تعلمت. فاذهب الى أوروبا وادرس أحوالها »

وأرسله بالفعل الي انكلترا على « نفقته الخصوصية » . حيث مكث فيها خمسة عشر شهراً. وقد تعلم في هذه المدة الوجيزة اللغة الانكليزية وأحاط علما بنظامات البلاد ودستورها ونظر في الرجال والاشياء نظرة مدقق متأمل وأطال النظر بنوع خاص في البوارج الحربية. ولما عاد الى اليابان وجد الحرب قائمة بينها وبين الدول الاجنبية لفتح الثغور فنزل في إحدي المواني وتطوع كنوتي في باخرة يابانية واشترك في الحرب أمام ثغر « سيمونذاكي » . وبعد انتهاء القتال خابر الدول ـ وهو بلباس النوتي ـ باسم الميكادو

ومن ذلك اليوم صعد سلم المعالي غير هياب ولا وجل.

فعينته الحكومة حاكما لمقاطعة « هيوجو » فأبدى فى ادارتها خبرة وكفاءة تامتين ثم اختاره الميكادو وزيراً للمالية فى عام ١٨٦٨ وهو فى السابعة والعشرين من عمره . فأظهر اطلاعا عجيبا وعلما واسعا . ولا غرابة فى ذلك فقد أدهش أقرانه ومعلميه فى انكلترا بذكائه الفائق واستعداده النادر فى المدة القليلة التي أقامها بينهم . ولا يزال الاحياء من أساتذته ورفاته يذكرون هذه الصفات السامية

ولم يكتف الميكادو بهذه الدراية وهذا الاستعداد بل استدعاه في عام ١٨٧٠ وقال له :

« انك وزير كبير . ولكن لابدلك من أن تزداد علما وعرفانا . وقد أرسلك أبى لدراسة أحوال أوروبا . وأنا أرسلك اليوم لدراسة أحوال أمريكا » .

وأقام «إيتو » في الولايات المتحدة عاما كاملا على نفقة الميكادو . تعلم فيه كل مايحتاج اليه واعتني بدراسة الدستور الأمريكي وسير المالية وعاد الى وطنه مزوداً بالمعارف النافعة والملاحظات الدقيقة والمشاهدات الحقة . وتقدم الى ملكه

وأمته بعد عودته وفى يده مشروع للدستور

وكان أكبر همه بعد رجوعه من الولايات المتحدة تحسين الحالة المالية لبلاده فغير العملة اليابانية ووضع اللوائح والمنشورات لتحصيل الضرائب ونظام الايرادات والمصروفات وأخذ يعلم العمال من كبيرهم لصغيرهم كيف ينفذون هذه اللوائح ويطبقونها ويحققون أفكاره ورغائبه . وكان يقول دائما ويكرر هذا القول : « لابد ان تسير المالية على أحسن أسلوب » . وقد سأله أحد زائريه من الأمريكيين عن سبب كثرة ورود هذه الجملة فى أحاديثه فقال :

« اني أنطق بها بدون أن يشعر لساني بخروجها من فمي . فكما انها صادرة من قلبي الذي اذا وقف وقفت الحياة . فانها تشير الي ذلك القلب العظيم الذي اذا تعطل تعطلت حياة المملكة . وأعني به وزارة المالية . وإني باذل جهدى فى وضع أمتن الاساسات لها . لاسيما بعد ان أدركت رقيكم وتقدم ماليتكم والقواعد التى تسيرون عليها . وانه لشدة شغفي بعمل لاأشتغل الآن بسواه تراني أكرر ذكره وأجد فى التكرار حلاوة »

وبهذه الخدمة الجليلة التى قام بها لبلاده وعاونه فيها الكونت أوكوما صار « الرجل الذي لايستغني عنه » فأسند الميكادو اليه في عام ١٨٧٣ وزارة الاشغال ليصلحها بفكره الصائب ونشاطه المدهش . فعمل فيها بجد زائد واختار المهندسين الماهرين لمساعدته واستعان بعلماء أوروبا وأمريكا ثم كافأهم بوافر العطاء وودعهم بجميل الثناء بعد أن أخذ منهم لقومه ماشاء . واستمر يتنقل من وزارة لوزارة ومن رئاسة النظار الى مجلس الاشراف . وهو فى كل وظيفة العامل المجد الساهر على مصالح بلاده الملهم العمال والموظفين بالآراء الثاقبة والافكار الرشيدة . وله الأيادى البيضاء في ارتقاء البحرية اليابانية . فهو الذى ساعد الميكادو في زيادة البوارج من كل نوع وحمل مجلس النواب على قبول مشروع تقوية البحرية المشهور « بروجرام ايتو » بعد أن كان رفض تقرير الضرائب لاجلها . وفي عهد وزارته الثانية جرت الحرب بين الصين واليابان فأظهر فيها حذقاومهارة وتدبيراً ودهاء وبالجملة كافة الصفات التى يمتاز بها الرجل العظيم . وبعد انتهاء الحرب عقد مع «لي هونغ

شانغ » معاهدة « سيمونذاكى » وخضعت الصين لمطالبه

وقد كافأه الميكادو يومئذ بتوجيه لقب مركيز اليه وكلفه بمخابرة الدول الاوروبية فى وجوب الغاء الامتيازات القنصلية التي كانت تقضى بمحاكمة الاجانب أمام قناصلهم فأفلح في هذه المأمورية الدقيقة ورفع مقام بلاده الى ماشاءت ومحيت الامتيازات ودخلت اليابان فى سلك الدول الراقية المتمدنة ورأي الشعب اليابانى الاجانب يحاكمون أمام محاكمه . وهو الامر الذى طالما تمناه واعتبر ما كان يجري قبله منتهى الاهانة لكرامته

والمركيز إيتو هو الذى مهد السبيل للمحالفة التى عقدت منذ عامين بين اليابان وانكلترا وكانت أسمى اعتراف بارتقاء دولة الميكادو وبلوغها الدرجة القصوي من المدنية والحضارة والقوة

ولاشك ان اليابان مدينة لهذا الرجل الداهية بدستورها الذى تفتخر به الآن . وقدقال عنه في حديث جرى له مع المسيو «ستيفان لوزان » الكاتب الفرنساوى الشهير :

« انه لم يكن من الأمور الميسورة ادخال الدستور فى بلاد لم تسمع أبدا بالمجالس النيابية . ولم يكن لدى مثال فى الماضى اقتدى به كما أنه كان لا بد من وضع شئ يدوم فى المستقبل فأجهدت نفسى فى تناسى كافة نظامات الشعوب الغربية وأخذت أضع نظاما يصلح على قدر الامكان للشعوب الشرقية وتساءلت كيف كان يفعل « بوذاوقومنسيوس » لو كانا كلفا بوضع نظام دستورى . وأظن انى لم أخب كثيرا فى القيام مقامهما لان « دستورى » يعمل به من يوم وضعه ولم يجد قومى ضرورة لادخال أقل تعديل فيه »

ولما سأله محدثه عن رأيه فى الاحزاب السياسية أجابه بهذه الكلمات الدالة على انه جمع بين الفضيلة والسياسة والمعرفة والاخلاق ـ شأن فحول الرجال ـ :

« لا يكون الحزب السياسى قائداً للشعب حقيقة الا اذا كان النظام سائداً بين صنوف أفراده . وكانت القاعدة الوحيدة له في خطته وسلوكه الاخلاص التام لمصالح البلاد . وكان مجتنبا قبل كل شئ منح الوظائف للجهلاء والغير الصالحين

ممن ينتصرون له ويتعلقون به »

وهو مشهور بالتأني والفصاحة والبلاغة وقوة التأثير وله كلمات يرددها اليابانيون في كل جهات المملكة . وقد قال له الميكادو ذات يوم : « اني أرى بلادنا أقرب الى ينابيع الشمس من غيرها . واننا أصحاب الحياة والنشاط وفي استطاعتنا أن نسود العالم بسلطاننا ونوزع عليه الحياة بالعدل ونتبع الشمس في سيرها لننشر سيادتنا حيث تسير » فأجابه بقوله: « نعم ذلك حقيقي يا مولاي . ولكن أخشى اننا اذا اتبعنا الشمس نغرب معها ! »

وناقشه مرة أحد زائريه من الامريكيين في حالة المرأة اليابانية وعدم وجود شأن لها في الهيئة الاجتماعية اسوة بالاوروبيات والامريكيات وأعرب عن دهشته من بقائها « شرقية » مع تغير أحوال اليابان كلها ودخول المدنية الغربية فيها . وأخذ يشرح سعادة الامريكيات وتأثيرهن على ترقي الامة . فتركه المركيز « ايتو » يفيض في القول والبيان حتي سكت منتظراً الجواب فقال له :

« نعم نعم . انى أفهم كل ما تقول وأعلم ذلك علم اليقين . ولكن الفرق بيننا عظيم . فانى اذا تزوجت وجدت من زوجتى رفيقا يشرف على الخدم . ولكنك أنت اذا تزوجت تبقى وحيداً ! »

وهو اليوم يرأس « مجلس القدماء » وقد أنبأتنا التلغرافات انه ذهب الى كوريا بمأمورية سامية وعاد منها بالنجاح والفلاح. فلتهنأ اليابان بهذا الرجل العظيم النادرة واتغبطها بلاد الشرق عليه وتندب سوء حال أمم يخرج أبناؤها من البطون الى القبور بدون أن يسمع العالم منهم صوتا أو يشعر لهم بوجود .....

الكونت اوكوما

هو زعيم حزب « المتقدمين » وأكبر خطباء اليابان .
تولى وزارة المالية ورئاسة مجلس الوزراء وسار سير « إيتو »
في أمور كثيرة وابتكر أموراً أخرى . وهو من أصحاب
الفضل الذائع ومن سلالة الساموراي أيضا . وله الشهرة
الفائقة والصيت الطائر فى المسائل المالية وحل معضلاتها
الدقيقة . ومع انه لم يخرج من بلاده طول حياته فقد أظهر
من أول أيام حكم الميكادو الحالى ميلا شديداً للمدنية الغربية
وعاون ملكه بكل قواه فى ادخالها للبلاد واصلاح الشؤون
المختلة وتقويم الامور المعوجة . وخدمها برأيه وصوته ونفوذه
واستمال اليها العديدين ببراهينه القاطعة وأدلته الساطعة
وحججه التى لا تنقض

وبلغ من تشيعه للمدنية الحديثة أن أعداءه اتهموه بخيانة
الوطن والسعي فى تسليمه للاجانب وأكثروا من اشاعة هذه
التهمة بين الطبقات الوضيعة حتي ألتى أحد الذين أثارت هذه



—☆﴿ الكونت « أوكرما » ﴾☆—

القرية سخطهم الوطني قنبلة من الديناميت تحت عربته فقتلت السائق والخادم والجوادين وهشمت أحدى ساقيه . واضطر الاطباء لقطعها بعملية جراحية رأي فيها الكونت أنواع الآلام والاسقام . وقد شفي منها وساقه اليمني كما خلقت والاخري من الخشب

ولم يستغرب الكونت أوكوما مما أصابه ولم يبد دهشة لما انتابه لانه كان يعلم أن لا بد للاصلاح من ثمن وأن الصادقين في خدمة الاوطان هم الذين يقدمونه وان إعزاز شأن الامة والبلاد أمر لا تسترخص فيه الارواح الغالية

وهو مشهور بالأدب الرائع والاخلاق الكريمة . ويروي عنه انه قال لسفير أجنبي جاء لزيارته وهو طريح الفراش يوم أصابته هذه القنبلة عند ما أراد الانصراف : « عذراً أيها السفير اذا خالفت الأدب ولم أرافقك الى الباب ! »

وقد أمضى السنوات العديدة في دراسة أحوال أوروبا « وهو في اليابان » ومعرفة أسرار تقدمها . ويصفه كتاب الغرب الذين قابلوه بانه يتوقد ذكاء ويكثر من محادثتهم لاستطلاع أفكارهم

وادراك رأى نافع أو اقتراح مفيد لينفذه فى مصلحة بلاده وله نظرات صادقة وكلمات صائبة . وقد أظهر له أحد ساسة أوروبا مزيد استياء الاوروبيين من اعتداء الضابط الياباني «ميورا» منذ بضع سنوات على ملكة كوريا وقتله لها فى قصرها لاعلانها العداء لليابان . فطأطأ الكونت رأسه ثم نظر اليه شذراً وقال : « ان أيدى الامم الاوروبية ليست نظيفة حتى تدعى لنفسها هنا حق التأثر والسخط من أمر لا يروق لها »

وخدم الكونت « أوكوما » العلوم والآداب فى بلاده خدمة سامية وأنفق الآلاف من الجنيهات فى سبيلها . فأنشأ بجوار قصره فى « وازيدا » بضواحى طوكيو كلية لتعليم البنين والبنات فيها اكثر من ألف طالب وطالبة . ينتشر المتخرجون منهم فى اليابان ورأس مالهم العلم الصحيح والمبادئ السليمة ويجاهدون فى ميادين الحياة جهاد الابطال . وقد نال الكثيرون منهم أرقى الوظائف . وصار « أبناء أوكوما » ـ كما يسميهم الشعب ـ أنفع خدمة اليابان فى هذا الزمان

ولم يقتصر انفاقه على التعليم . بل امتد الى الصحافة

فانتشل عدة من الجرائد النافعة من خطر الموت وساعدها بالمال والامدادات المستمرة حتى انتعشت ودبت فيها الحياة وقامت بما ينتظر منها

وله على حزبه تأثير كبير . وهو حر الفكر غير مقيد بقيود الاوهام . ومن رأيه أن قوة الرأى العام فى اليابان لم تصل الى الغاية المطلوبة لقصر الزمن واستحالة تربية أمة كاملة تربية سياسية فى مدة قليلة . وقد نقل المستر « ستنورد » فى كتابه على اليابان ماقاله له بشأن السياسة الداخلية اليابانية والرأى العام عقب استقالته من رئاسة النظار فى سنة ١٨٩٧ . والى القارئ مؤدي ماقال :

« ان ساستكم يمثلون منتخبين يقدرون الحياة الأدبية والمادية حق قدرها وان الانتخاب هو القوة التي ترشدهم فى أعمالهم وتجبرهم على تنفيذها . وسواء كان سالسبورى أو غلادستون فى الحكومة أو مع المعارضين فانهما يعلمان أن أعمالهما مؤيدة بسلطة قوية حقيقية . وبالجملة فأن رجالكم يستطيعون عمل كل شئ صالح للمملكة

اما نحن فى اليابان فمع اننا خطونا خطوات محسوسة فى

طريق تكوين الرأي العام فانه لا يزال ينقصنا وجود معارضة قوية عامة لان فى وجود المعارضة ما يظهر الصفات الحسنة عند الرجل السياسى »

فليتأمل فى أقوال هذا السياسى الشرقي أولئك الذين يشكون ويتألمون من المعارضين للاحتلال في مصر ويقول زعيمه انه يحاربهم الحرب العوان ويطاردهم فى كل مكان . عساهم يعترفون معنا ان السلطة الراغبة فى خير أمة تمجد المعارضين وتعزهم باطنا ان لم تستطع المجاهرة بذلك ظاهرا لانهم الدالون لها على عوراتها المرشدون للطريق السوي . وانها ترى من النقص الفاضح والعيب المشين الطعن عليهم والتفاخر بمطاردتهم !

وقد جاوز الكونت « أوكوما » الستين من عمره . وهاهو اليوم ينادى أمته بالاستعداد للحوادث المقبلة ويحذرها شر تداخل دول أوروبا فى الحرب الحاضرة لأن الحسد دب بينهن . وغيرتهن من اليابان ظاهرة للعيان لا تحتاج الى بيان . وله الحق أن يقف مثل هذا الموقف بين قومه لانه خدمهم بقلبه وعقله وبيانه وماله وعلم الناس كيف تكون الوطنية الرشيدة

الكونت ايتاجاكي

هو زعيم حزب الاحرار وأشد اليابانيين غراما بالحرية والدستور . وأول من رفع الى الميكادو الكتب تلو الكتب مطالبا بانشاء مجلس نيابي تحقيقا لوعده وتنفيذاً لما جاء فى قسمه الامبراطورى عقب توليته . وقد طاف البلاد خطيبا بين أهاليها فى حقوق الشعب وواجباته مبينا لبني وطنه أهمية المجالس النيابية وكيف تشترك الأمة فى الحكم مع الملك ووزرائه . ولم يترك فرصة حتى انتهزها لتأدية هذا الواجب الذي أخذه على عاتقه

ولما رأى ان صوته اذا بقي منفرداً لا يأتى بالثمرة المقصودة أسس فى عام ١٨٨٠ حزبا سياسيا للمطالبة بالنظامات الحرة اسمه « جيوتو » أى الحزب الحر واستمر يخطب هو واعضاؤه ويكتبون وينشرون فى الصحف المقالات على مافى الدستور من خير للأمة عظيم ونفع عميم . وتعلق بالمركيز « ايتو »

وطالبه بمساعدته فى اخراج أمنيته وأمنيةاليابانيين من دائرة الفكر والآمال الى عالم الوجود . نوجد منه أخا في المبادئ والعواطف ووضع يده فى يده . ولبث « إيتاجاكى » على هذا الحال لايهدأله بال ولا يغمض عينيه الا وهو مفكر فى الدستور حتى أصدر الميكادو أمره بتشكيل لجنة تحت رئاسة المركيز « إيتو » لوضع مواده وأعلن رسميا ان مجلس النواب سيفتتح فى عام ١٨٩٠

وبعد تشكيل المجلس ازداد الحزب الحر قوة على قوته وتأثيرا على تأثيره وصار زعيمه أكبر نصراء الحرية فى أمته ولم يكتف بما نال . بل تراه إلى اليوم يطلب المزيد منها ويقول انه لا يستريح حتى يرى اليابان ممتعة بحرية أكبر مما تمتع به انكلترا وفرنسا

ولم ينج هو أيضا من اعتداء أنصار التأخر والجهل . بل طعنه أحد أعدائه بخنجر فصاح قائلا ـ والدم يسيل منه ـ « قد يموت إيتاجاكى ولكن الحرية لاتموت ! » . ولم يقض الا أياما قلائل حتى شفي من جرحه وعاد الى عمله



—«(الكونت « ايتاجاكي »)»—

وهو مشهور بالفقر المدقع . ويفتخر به ويعده عنوان
الشرف والمجد . ومن آرائه ان الرجل الطاهر الذمة
الشريف النفس لايكسب مالا فى السياسة والرئاسة بل يزداد
فقرا إن كان فقيراً ويضيع ماله ان كان غنيا . ويروى عنه
انه لما عين وزيراً أوشك ان لا يصل الى القصر الامبراطورى
فى الميعاد المحدد لعدم وجود قبعة سوداء لديه وقفاز يقابل به
الميكادو !

الكونت اينويي

علم القارئ مما ذكرناه في ترجمة المركيز إيتو انه اتخذ الكونت إينويي من أيام شبيبته الاولى صديقه الحميم والامين على أفكاره ومقاصده . وان أعداء الاصلاح والتقدم ضربوه في مقاطعة « نجاتا » ضرباً موجعاً عقب انتصار الاوروبيين على جنود حاكمها ولم يتركوه حتي ظنوه ميتا . وقد غادر البلاد بعد ذلك وأبحر على ظهر باخرة أجنبية الى انكلترا بقصد نقل علومها ومعارفها الى بلاده . وتكفل الميكادو « كومى تنو » بنفقة تعليمه حتى تعلم وتهذب وأخذ من أوروبا أحسن مافيها وعاد الى وطنه وتمسكه بصديقه إيتو أشد من ذى قبل . واعجابه بمطالبه ومآربه لايعرف له حد

وقد عين وكيلا للمالية ووزيرا للخارجية وتقلب فى عدة وظائف سامية أظهر فيها كلها الكفاءة والنزاهة والغيرة الوطنية والحذق . ولا شك ان أسمى صفاته ومميزات أخلاقه انه لبث طول حياته الظل الذي لايترك « إيتو » . ولم يجد الحسد الى



—﴿ الكونت « اينويي » ﴾—

قلبه سبيلا . بل ضحي كل شئ لدوام هذه الصداقة التي رأى فيها منفعة بلاده وفوز سياسته وتحقيق آماله . ومن يعرف أخلاقنا معاشر الشرقيين لا ينكر فضل رجل كهذا ساعد صديقه على بلوغ هذه الشهرة الذائعة وكان على الدوام ساعده القوي الذى لا يشكو ولا يتألم

وقد عادت عليه هذه الخطة بالمكسب الادبي الجسيم . فذكر القاصي والداني إخلاصه لوطنه وتمام استعداده وعمله لخير أمته بلا دوي ولا ضوضاء واعتبره اليابانيون جميعا من أقوي وأمتن أركان الحكومة الدستورية

وهو في مقدمة السياسيين اليابانيين الذين رأوا في وجود الروسيا بالقرب من بلادهم خطراً عليها وأشاروا بضرورة احتلال كوريا وتسيير أمورها حسب ما تقتضى المصالح اليابانية . كما انه كان في الصف الاول من العاملين لتقوية الحربية والبحرية والاستعداد للحرب الحاضرة التي يرى في نتيجتها دورا جديداً لليابان وانقلابا عاما في سياسة الدول الاوروبية ازاء الشرق الاقصى

وهو يشكو فى كل صيف آلاما فى الضلوع من جراء تلك الضربات الموجعات التى لحقت به في مقاطعة « نجاتا » . ولكنه يتحملها بجلد ويعدها مفخرته الاولى وفاتحة حياته السياسية التى توجت بفوز دولته ورقيها هذا الرقى السريع الذى بهر الدنيا بأسرها

البارون أوكوبوتوزيمتسى

أبنا فيما تقدم ان الحزب المعادى لدخول المدنيـة الغربية قام فى وجه الحكومة اليابانية ورفع لواء العصيان ضدها وهزم بعد وقائع عنيفة . وان افراده اعتدوا على رجال الاصـلاح والتقـدم وحاولوا إعدامهم واحدا بعد واحـد . وقـد نجوا جميعا الا البارون «أوكوبوتوزيمتسى» فانه مات تحت خناجر ستة من الساموراى انتظروا مرور عربته من أحدى الطرق الذاهبـة من ضواحي طوكيو الى قصر الامـبراطور وطعنوا السائق فى مكانه وأخرجوا هذا الخادم الأمين لوطنه وقتلوه شر قتلة فى يوم ١٤ مايو عام ١٨٧٨ . وهو لم يتجاوز الثامنـة والاربعين من عمره

وكان أوكوبو يومئـذ وزيرا للداخليـة ومن المقـربين للميكادو المؤثرين عليه فى آرائه وأفكاره المسموعي الكلمة لديه المشهورين بالرأى الصائب والفكر الرشيد. فأحدث خبر قتله رنة حزن وأسف وبكاه كل وطني متبصر واحتفل القوم بدفنـه

كما يحتفل بالابطال الذين يفدون أنفسهم للوطن

وقد ولد من أب ساموراى وتربى على أخلاق هذه الفئة التي تمثل الشرف والشهامة والآداب الراقية وأظهر على الدوام ميلا للميكادو وتقديسا لمقامه . واتفق مع صديقه المارشال « سيجو » على محو سلطة الشجن وازالة حكومته ورد القوة والسيادة لصاحبها الشرعي . واشترك فى كل الاجتماعات التى عقدت لهذا الغرض . ولما تم الامر وقضى على الشجن وذهبت أيامه وانتقلت السلطة الفعالة للميكادو كان أول ساموراى قابله وأشار عليه بنقل العاصمة الى « ييدو » وتسميتها طوكيو ووافق « إيتو » على أفكاره بشأن تمدين البلاد ومقاتلة نفوذ الغربيين بأسلحتهم ورد تيارهم الجارف بآلاتهم واختراعاتهم

ولذلك قربه الميكادو اليه وأرسله الى أوروبا وأمريكا ليتعلم ويستفيد ثم عينه وزيرا للداخلية فى وقت كانت البلاد محتاجة لرجل قوي ينشر الامن ويحفظ النظام ويضرب على أيدى الطغاة المتآمرين ضد الاصلاح والتقدم



—•﴿ البارون « أوكو بوتوزيتسي » ﴾•—

ولم تمنعه صداقته القديمة للمارشال « سيجو » وعلاقاته الاولى مع الساموراى أصدقائه من المناداة بوجوب نقل المدنية الاوروبية الى اليابان واضطر لمعاداتهم جميعا لشدة نفورهم من مبادئه وأفكاره. وكل من يعرف كم يتألم الصديق الصادق والخل الوفى من حل عرى الوداد لاختلاف فى الافكار والمشارب يدرك اخلاص « أوكوبو » فى خطته ذلك الاخلاص الذي أبعده عن أعز محبيه وعرّضه لاعتداء الجاهلين ومن أعماهم التعصب حتى ذهب ضحية وطنيته ومات كالجندى الباسل فى ساحة القتال

الدستور

تاريخه . سلطة الامبراطور . الهيئة النيابية . الوزراء

استمد كل الكتاب والمؤلفين ما كتبوه على الدستور اليابانى من مؤلف للمركيز « ايتو » عنوانه « تعليقات على الدستور فى المملكة اليابانية » لانه جمع مايحتاج اليه المطالع والمحرر والمصنف وهو الحجة فى الموضوع لان صاحبه واضع الدستور وعارف أسراره ومنفذه بين قومه

ولا يحتاج الباحث فى أصل الدستور اليابانى الى عناء للوصول الى بغيته لان القسم الذى فاه به الميكادو فى أول حكمه هو المادة الحيوية الاولى لوجوده والحجر الاساسى من بنائه . وقد دأب ساسة اليابان على المطالبة به تحقيقاً لوعد الامبراطور . وكان فى مقدمتهم الكونت إيتاجاكى كما قدمنا . فانه اتفق مع صديقه « جوتو » وسياسيين آخرين فى عام ١٨٧٠ ورفعوا مذكرة لجلالته ذكروه فيها بخطابه وأبانوا حاجة

البلاد لنظام قويم يضمن لها السعادة والاستقلال والعدل في الحال والاستقبال . ولكن الميكادو رأى يومئذ ان الوقت لم يحن لتنفيذ ذلك العهد الذى أخذه على نفسه وانه يجب قبل كل شئ تربية الامة تربية سياسية وتعويدها على المجالس النيابية فأمر بجمع حكام الاقاليم مرة فى كل عام بمدينة طوكيو للنظر فى مصالح الاهالى وتقرير الامور العامة الهامة وسمى هذا المجلس « شيهوكان كواى جى » . ولا يزال موجودا الي اليوم

وفى عام ١٨٧٥ خطا الامبراطور خطوة الى الامام فى سبيل الدستور فأنشأ مجلس الشيوخ واختار اعضاءه من ذوى الكفاءة والاختبار ومنحه بعض الحقوق التشريعية

غير ان إيتاجاكى وأمثاله من المغرمين بالدستور التام لم يحفلوا بهذه الخطوات الضعيفة التى لاتوصل الى غاية ولا تقوى للأمة ساقا فأنشأ هو وأصدقاؤه فى عام ١٨٨٠ الحزب الحر واستقال الكونت أوكوما من خدمة الحكومة وأسس

حزب المتقدمين . وقامت بعد ذلك أحزاب أخرى كالحزب الأهلى الاتحادى . وأخذت كلها تعمل لايجاد مجلس نيابى يمثل الأمة ويراقب الحكومة ويعطى النافع ويمنع الضار حتى رأى الامبراطور ان بين رعاياه من يصلحون لقيادة الاحزاب وتربية الملكة السياسية عند الافراد فأصدر فى اكتوبر عام ١٨٨١ أمراً امبراطوريا أعلن فيه شعبه بانه عين لجنة من المتشرعين والسياسيين لوضع موادالدستور بمايوافق مصالح البلاد وانتخب المركيز « إيتو » رئيسا عليها وحدد عام ١٨٩٠ لاصدار ذلك القانون النظامى الذى كان ينتظره الكبير والصغير فى المملكة بشوق وشغف . فتهللت الوجود وامتلأت الصدور بشرا وسرورا وعم الفرح هذه الامة التى لم تترك بابا من أبواب الرقى حتى طرقته . وأسرعت اللجنة فى عملها حتى صدر الدستور فى ١١ فبراير عام ١٨٨٩ وأقيم احتفال عام ابتهاجا بصدوره . واجتمع مجلس النواب لأول مرة فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٩٠ وألقى الامبراطور خطبة الافتتاح فيه بعد ذلك بأربعة أيام

وقد أصدر الميكادو فى ذلك اليوم المشهود يوم ١١ فبراير عام ١٨٨٩ قانونا خاصا بنظام البيت الامبراطورى وآخر يتعلق بمجلسى الاشراف والنواب وقانونا ثالثا على الانتخاب لمجلس النواب ورابعا على المالية

والمطالع لدستور اليابان لا يسعه الا أن يثني على واضعيه ويعجب بهم اعجابا كبيرا لانهم رأوا من العبث اعطاء أمة شابة حديثة العهد بالنظامات الغربية كافة الحقوق المخولة للشعوب التى تدربت عليها وأخذت بعد العناء والجهاد أوفر قسط من الحرية فتركوا النظام الانكليزى والفرنساوي والامريكى وقلدوا الألمانى فى حقوق المجلس النيابى أمام الحكومة ومركز الوزارة أمامه . وأبقوا للميكادو السلطة الواسعة والنفوذ الكبير والاشراف العام . فليس لمجلس النواب فى اليابان أن يسقط الوزارة لماذا ترضه سياستها . بل له أن يرفع الخلاف الى الامبرطور وهو يفصل فيه إما بالتوفيق بينهما أو بحل أحدهما . فهو الحكم الأعلى وربان سفينة الدولة والأمين على قوتها ومجدها ومصالحها

وهـذا النظام ضروري للأمة في أول عهدها بالمجالس النيابية ويحمى البلاد من أخطار كبار فضلا عن أنه لا يسلب الشعب حق التشريع والمراقبة على أعمال الوزراء . وقد أجمع المشتغلون بحالة اليابان وأدوار تقدمها الحديث على ان الميكادو لم يخالف رغائب شعبه مرة واحدة وانه قل أن يوجد في أوروبا ملوك دستوريون يتبعون ارادة الأمة مثله

*
* *

حـدد الدسـتور سلطة الامبراطور ومجلسي النواب والاشراف والوزراء . فأبان ان الميكادو هو الرئيس الأعلى للحكومة وفي قبضـته كل حقوق السـيادة والامارة . فهو يسوس أمور اليابان ويحكمها ويعتبر مقدساً لا يعتدى عليـه ولا يمس . ولا ينفذ قانون يصدره مجلسا النواب والاشراف الا اذا صدق عليه . ويأمر بجمع المجلسين وانفضاضهما . وحل مجلس النواب عند الضرورة . ويصدر الأوامر التي تقوم مقام القوانين في حالة عدم اجتماع المجلسين اذا وجدت حاجة لذلك ويحدد سلطة كل مصلحة ويقرر مرتبات الموظفين الملـكيين

والعسكريين ويعينهم ويعزلهم ويقود جيوش البحر والبر ويعلن الحرب ويعقد الصلح ويمضى المعاهدات مع الدول الاجنبية . ويقرر الأحكام العرفية ويمنح الرتب والالقاب والوسامات وعلامات الفخار ويأمر بالعفو وتخفيف العقاب ورد الشرف . ويتخذ الاحتياطات المالية اللازمة لصيانة الدولة والمصالح العامة اذا لم تستطع الحكومة جمع مجلسى النواب والاشراف وتقرير الأمر بواسطتهما . ويخالف القوانين كما تشاء مصلحة البلاد اذا قامت الحرب أو وقعت اضطرابات داخلية

ولم يقيد الدستور الميكادو فى هذه الحقوق الواسعة الا فى بعض أمور : منها انه جعل لمجلسى النواب والاشراف حق عدم الموافقة على الاوامر التى يصدرها فى حالة عدم اجتماعهما لتقوم مقام القوانين وعندئذ تصير لاغية وغير معمول بها . ومنعه من المساس بالقضاء والقضاة فليس له الحق فى عزل أحد القضاة أو الاعتداء على استقلالهم . وقيده فى مسئلة المالية فقرر وجوب التصديق على الميزانية من مجلسى النواب والاشراف

مع انه منحه حق تحديد مرتبات الموظفين كما يشاء فكأنه أعطاه هذه الحرية من جهة وقيدها من جهة أخرى ليحصل التكافؤ ولتكون الاعمال مقرونة بالحكمة والسداد . وكما أنه أولاه حق جمع المجلسين وفضهما وحل مجلس النواب فانه ألزمه بجمعهما مرة في كل عام لمدة ثلاثة أشهر . وجعل من حقه المحض تأليف الوزارة وحلها ولكنه اشترط وجود امضاء الوزير المختص بجانب امضائه في كل أمر يصدره

أما مرتب الميكادو وأعضاء عائلته فهي ٣ مليون « ين » فى العام أى ثلاثمائة ألف جنيه (لان الين يبلغ نحو عشرة قروش) . ولم يذكر فى الدستور شيء عن المرتب ولكن بيانه جاء فى الميزانية والنظام الخاص ببيت الملك

***

أنشأ الدستور اليابانى مجلسين للسلطة التشريعية والنيابية: مجلس النواب ومجلس الاشراف . وجعل من اختصاصهما سن القوانين ومراقبة ادارة البلاد . فلهما الحق فى قبول الشكاوى والعرائض من الافراد . وتقديم كتب إلى الامبراطور . وتوجيه

الاسئلة للحكومة والاستفسار منها عما أغمض عليهما .
ومراقبة المالية

ويؤلف مجلس الاشراف : أولا من أعضاء العائلة الامبراطورية وهم ١٣ . ثانيا من الحائزين للقب برنس أو مركيز وعددهم ٤٠ . ثالثاًمن الحائزين للقب كونت أو فيكونت أو بارون الذين ينتخبهم اخوانهم أصحاب هذه الالقاب وهم ١٢٣ . رابعاً من الاشخاص الذين يختارهم الامبراطور نظرا لخدماتهم التى قاموا بها للمملكة أو لما اشتهروا به من المعرفة والخبرة ويبلغون ١٠٠ . خامساً ممن تنتخبهم البلاد .وهم ٤٥ . وقد قرر الدستور اعطاء كل مدينة وكل مديرية حق انتخاب عضو واحد لمجلس الأشراف بحيث يكون من أكبرالممولين الذين تثق بهم الحكومة ويكون عمره ثلاثين عاماعلى الاقل

وأعضاء العائلة المالكة وذووالالقاب والذين يختارهم الامبراطور بنفسه يعينون فى مجلس الاشراف للعمر كله . أما الذين تنتخبهم الامة فيقضون به سبع سنوات

وقد قال المركيز « إيتو » فى تعليقاته على الدستور

اليابانى ما ترجمته : « ان القصد من ايجاد مجلس للاشراف هو ليس فقط منح الطبقات العالية نصيباً فى المناقشات والمداولات فى المسائل التشريعية . بل أيضا ايجاد هيئة تمثل التبصر والخبرة والثبات ويجتمع فيها رجال خدموا الحكومة خدمات جليلة الشان وآخرون مشهورون بالعلم والمعرفة وأغنياء ذوو ثروة واسعة »

أما مجلس النواب فينتخب من الامة مباشرة لمدة أربع سنوات

وقرر الدستور ان لكل يابانى الحق فى ان يكون منتخبا (بالكسر) اذا كان بالغا من العمر خمسة وعشرين عاما على الاقل ويدفع للحكومة من الضرائب ما لا يقل عن ١٥ ينا (أى ١٥٠ قرشاً) فى العام وله محل مختار فى الجهة التي يسكنها من سنة على الاقل قبل مدة الانتخاب . وأن يكون منتخباً (بالفتح) اذا كان بالغا من العمر ثلاثين عاما على الاقل ويدفع للحكومة ضريبة لا تقل عن ١٥ ينا

وأن يحرم من الدخول فى مجلس النواب موظفو القصر

الامبراطوري والنظارات والقضاة ومستخدمو مجلس المحاسبة ومحصلو الضرائب ورجال الشرطة والرجال الدينيون . وأن لا يكون منتخباً (بالكسر) أومنتخبا (بالفتح) رجال الحربية والبحرية . ومن حكم عليهم بالتفليس والاشخاص المحرومون من حقوقهم المدنية

ولما صدر الدستور بهذه القيود اعترض الكثيرون عليه لفقر الأهالي وعدم قيام أغلبهم بدفع الضريبة المقررة وألحوا بوجوب تغييره حتى تتمتع الأمة كلها بالحقوق النيابية واستمروا يطالبون ويجدون حتى وضع المجلسان في عام ١٩٠٠ قانونا يقضي بجعل عدد النواب ٣٦٩ بعدان كانوا ٣٠٠ وأن يكون للمدائن منهم ٦١ نائبا بعدان لم يكن لها من قبل الا ١٧، وصارت نسبة نواب المدائن لنواب الاقاليم ٢٠ في المائة . وبتعديل مسئلة الضريبة. فجعلها بالنسبة للمنتخبين (بالكسر) ١٠ ين بدلا من ١٥ وأبطلها بالمرة فيما يخص المنتخبين (بالفتح) أي انه يصح انتخاب أفقر الناس مادام قادرا على الدفاع عن مصالح البلاد . وهو العدل المشرف لذوي الكفاءة والاستعداد

وقد أبان المركيز إيتو فى تعليقاته على الدستور اليابانى ان كل نائب ينوب عن اليابان كلها لا عن المقاطعة التى انتخبته وحدها . وهو المبدأ الذى اتفق عليه رجال الشرائع والقوانين وقرره الدستور الفرنساوى في عام ١٧٩١

أما مرتب النائب فى اليابان فقد كان ٨٠ جنيها فى السنة لغاية عام ١٨٩٩ ثم جعل ٢٠٠ جنيه

*
* *

اتخذ الدستور اليابانى طريقة وسطى بين النظامات المختلفة المتبعة فى الدول المتمدنة . فجعل الوزراء أعوان الميكادو ومستشاريه واشترط وجود امضاء واحد منهم بجانب امضائه فى كل القوانين والأوامر العالية لتكون نافذة المفعول . وأقام مراقبة مجلسى النواب والاشراف عليهم بصفة فعالة مع حرمانه لهما من حق عزلهم . فلهما أن يسألاهم عن كل أمر ويناقشاهم في كل مسئلة ويرفعا الى الامبراطور شكواهما منهم اذا خالفوا رغائب الأمة وجروا على غير مطالبها . وقد تكلم المركيز إيتو على واجبات الوزراء ومركزهم فقال : « ان واجبهم

نحو الامبراطور لايجبرهم فقط على تشجيع ماهو حسن لديه واقتراح ماهو مرغوب فيه. بل أيضاعلى ابعادماهو ضار ومساعدته على العمل بالرشد والصواب . ولذلك هم مسؤولون . وان للامبراطور وحده حق تعيينهم وعزلهم . ولكن عليه أن يراعى في ذلك رغائب الامة . فدستور اليابان يقضى بالامور الآتية :

أولا . وظيفة الوزراء هى تقديم الآراءللأمبراطور

ثانيا.هم مسؤولون مباشرة نحوالامبراطور و«بواسطة» نحو الشعب

ثالثاً . الامبراطور هو الذى ينظر في أمر مسؤولية الوزراء لا الشعب . لان له وحده حقوق السيادة العالية فى الحكومة والدولة

رابعاً . مسؤولية الوزراء سياسية ليس الا . ولاعلاقة لها بالمسؤولية المدنية أو الجنائية »

وقد قرر الدستور حقوق مجلسى النواب والاشراف مع الوزراء نأبان ان لاعضائهما الحق في توجيه الاسئلة لهم .فاذا

لم تأت بالغرض المقصود يقدمون مذكرة . فاذا بقيت بلا فائدة يتداولون فى الامر ويرفعون كتابا للامبراطور . ولا بد من موافقة ثلاثين عضواً على الاقل ليكون الكتاب حائزا للقوة اللازمة

وفي اليابان عشر وزارات : الداخلية والخارجية والمالية والحربية والبحرية والعدالة والتربية « والزراعة والتجارة » والمواصلات (السكك الحديدية والتلغرافات والتلفونات والفنارات الخ) ووزارة البيت الامبرطورى. وصاحب هذه الوزارة الاخيرة لا يحضر جلسات مجلس النظار . ويجتمع الوزراء في مركز السياسة المعروف باسم «نايكاكو»

ويوجد مجلس آخر بجانب الوزارة وهو « المجلس الخاص» أو«مجلس القدماء» ووظيفته تقديم الآراء والارشادات وهو مؤلف من رئيس ووكيل و٢٥ عضوا ممن خدموا الحكومة بشرف ونزاهة واخلاص . ويحضر الوزراء جلساته على الدوام

ومرتب الوزير الياباني ٥٠ جنيها فى الشهر . فليعجب

المصريون من الفرق الجسيم بين مرتبات وزرائنا الذين لا يعملون شيأ ومرتبات أولئك الوزراء الاحياء العاملين الذين جعلوا لبلادهم المقام الأعلى بين الدول والممالك. وليندهشوا من إسراف حكومة لم تبلغ ميزانيتها ١٢ مليونا من الجنيهات كيف تنقد الوزير ٢٥٠ جنيها فى الشهر على حين ان دولة «الشمس المشرقة» التى تتجاوز ميزانيتها ٢٥ مليونا من الجنيهات لا تنقد وزيرها الا ٥٠ جنيها!

مجلس النواب والاحزاب

نظام المجلس . الاحزاب . اعتماد الحكومة عليها . اتفاقها وافتراقها . الحكومة النيابية . مميزات المجلس الياباني

لم تهتم الامة اليابانية وخصوصاً الطبقة الراقية منها بحادث من حوادث ذلك الانقلاب الذي غير كل شيء فيها ومحا التقاليد والنظامات القديمة محواً لا عودة لها بعده مثل اهتمامها بانشاء المجلس النيابي . فقد أدرك كبارها وصغارها انه الضمانة العظمى لسلامة القانون والحرية لان بقاء السلطة في يد واحدة لا يكون مأمون العواقب الا اذا كان الحاكم من أصحاب العقول الواسعة والارادة القوية والرغائب الحسنة والغايات النافعة . وهو ما لا تضمنه الايام لامة على الدوام . فكم من دولة رزقت بالملوك الصالحين العادلين ثم رزئت بالفاسقين الظالمين !

ومجلس النواب في اليابان مؤلف نصفه من المزارعين لان البلاد زراعية . والنصف الآخر من التجار والماليين وأصحاب المصانع والاطباء والمحامين ورؤساء الشركات

والصحافيين . وقد بلغ عدد النواب من هؤلاء في الانتخاب الاخير ١٤ واحداً

ونظام المجلس يقضى بأنه متي تمت الانتخابات يصدر الامبراطور أمره باجتماعه ويتقدم الاعضاء في الجلسة الاولى الى السكرتير الاول الذي يقوم بوظيفة الرئيس لحين انتخابه وبأيديهم شهادات الانتخاب . وفى اليوم الثاني ينتخب النواب ستة منهم ثلاثة للرئاسة والثلاثة الآخرين للوكالة فيختار الميكادو منهم رئيسا ووكيلا . وهو يعين على الدوام الحائز لاكثرية الاصوات احتراما لاميال النواب . ثم يجتمعون للأنقسام الى لجان وفرق وانتخاب رؤسائها . وبعد اتمام هذه الرسوم المقررة يحضر الامبراطور بموكبه الرسمي ويلقى على النواب خطبة الافتتاح التى هي فى العادة قصيرة ثم يرفع المجلسان كتاب شكر لجلالته . ويأخذان بعد ذلك فى مناقشة الاعمال والنظر فيما يعرضه الوزراء عليهما من المشروعات

واللجان فى البرلمان الياباني هى روحه الحقيقية . ولا يستطيع نائب أن يخالف لجنته اذا أقرت أغلبيتها على شئ . واذا

وقع خلاف بين مجلسى النواب والاشراف يعينان لجنة مختلطة للفصل فيه . ومما يخالف مجلس النواب اليابانى فيه المجالس النيابية فى أوروبا ان الوزراء لا يذهبون اليه الا في ظروف استثنائية ويوكلون أمر المناقشة والجواب على أسئلة النواب لكبار الموظفين . ويقضون بذلك أوقاتهم فى تنفيذ المشروعات المهمة والقيام بأعباء المملكة . وهو ما يغبطهم عليه وزراء أوروبا الذين يضيعون أنفس الاوقات فى الرد على خطب الاشتراكيين وأسئلة الذين لا يطلبون من المناقشة والجدال الا نشر أسمائهم فى الصحف وذكر أقوالهم فى المجالس والنوادي

ولا يجلس أعضاء الحزب الواحد في مجلس نواب اليابان بجانب بعضهم كما هو الواقع في المجالس النيابية بأوروبا فترى الحر مجاورا للمحافظ . وفائدة هذا النظام كبيرة. لانها تمنع أعضاء الحزب الواحد من التأثير على الخطيب بالمقاطعة ورفع الصوت اذا كان قوله مخالفا لمشربهم . لتعذر تنبيه بعضهم البعض الى ذلك

وقد انتقلت عيوب المجالس النيابية الاوروبية الى

اليابان. فصار للمال القول الفصل في الانتخابات وهو الأمر الذى أجمع الكتاب والعقلاء على أنه يبقى مابقيت الدنيا ويعجز الحكماء ودهاة السياسيين عن منعه. ولكن اليابانيين لم يقلدوا الغربيين فى المضاربة والملاكمة وجعل مجلس الامة مرسحا للفظائع والاعمال الهمجية!

* * *

أبنا فيما تقدم ان الساموراى هم أهل العلم والادب والشهامة وانهم الذين تولوا أمور الدولة وقادوا البلاد وفتحوا لها أبواب الرقى والعظمة والسيادة. وقد ظهر تأثير احزابهم القديمة فى النظامات الحديثة ظهورا جليا. فاقتسم الوظائف العالية حزبا «شوشيو وساتسوما» اللذان هما أكبر الاحزاب التى جعلت القوة كل القوة في جنوب المملكة وسهلت للميكادو الحالى قلب «الشجن» وحكومته. فاستقل رجال «شوشيو» بالسياسة والادارة. ورجال «ساتسوما» بالحربية والبحرية. وتعادلت القوى بينهما فى مجلس النواب. ولكن هذه

السيادة لم ترق في أعين المنتخبين من الامة ورأوها أثرا من آثار الماضى وبقية من بقايا الامتيازات الخالية . فأخذوا ينافسون الحزبين ويحاربونهما فى المشروعات والمناقشات . وبذلك وجد النفور غير مرة بين الوزارة والمجلس واضطر الميكادو لحله واجراء انتخابات جديدة . وقد حل خمس مرات من أول تأسيسه

وأهم الاحزاب النيابية في اليابان حزب الاحرار وحزب المتقدمين وحزب الاحرار الاتحاديين وحزب المحافظين وللأول والثانى ثلثا أعضاء المجلس وهما اللذان يعول عليهما وتهتم البلاد بهما وبين أعضائهما رجال الرأى والفكر والنظر وقد ذكرناهما فى الكلام على تاريخ المجلس . وأولهما يكره الاجانب ويحارب نفوذهم . وثانيهما يميل لمسالمتهم والانتفاع بهم . وقد افترقا كلة مدة من الدهر طويلة ولم يتحدا الا مرة واحدة كان الخصام بعدها شديداً

وأسباب وقوع الخلاف بين المجلس والوزارة المرة بعد المرة هى ان النواب ميالون لنيل كافة الحقوق المخولة لامثالهم

في أوروبا . نهم يريدون أن يكون الوزراء مسؤولين أمامهم وان يسقطوا الوزارة متى ساءتهم خطتها . ويغضبهم الآن أن لا يروا الوزراء الا في النادر وأن يسمعوا في المسائل الهامة أصوات كبار الموظفين بالنيابة عنهم. ويودون أن يكون المجلس هيئة سائدة نافذة الامر لا سلطة لها الرقابة العالية والرأي المحترم فقط

وقد نالت الاحزاب شأنا ومكانة من نحو عشر سنوات وصار لرأيها تأثير كبير في سياسة البلاد .وبعد ان كان الوزراء لا يهتمون بالاعتماد عليها وطلب معونتها صاروا يخطبون ودها ويستعين رؤساؤهم بزعمائها . فأدخل المركيز إيتو الكونت ايتاجاكى فى وزارته الثالثة عام ١٨٩٥ واستعان بالحزب الحر لتقرير زيادة ميزانية الحربية والبحرية وتنفيذ ذلك المشروع المشهور ببروجرام ايتو الذى نالت بفضله اليابان الآن مانالت من ظفر ونصر فى حربها مع الروس . وسلك الكونت « ماتسوكاتا » مسلكه عند ما دعاه الميكادو لاستلام أزمة الامور عقب المركيز إيتو حيث حالف حزب المتقدمين واعتمد

عليهم فى حكمه وتقرير مشروعاته

وحدث فى عام ١٨٩٨ حادث كبير لا بد لنا من ذكره لانه أثر على الحياة النيابية فى اليابان تأثيراً عظيما . وذلك ان المركيز إيتو عرض على مجلس النواب مشروعا ماليا كبيراً يقضى بزيادة الضرائب فرفضه المجلس باجماع الآراء . وكان المركيز يراه من الاهمية بمكان ويعتبره ضروريا للبلاد وحيوياً لمصالحها ومن الخطأ تأخيره. فطلب من الامبراطور حل المجلس لانتخاب نواب آخرين فأجاب طلبه وصدر الأمر بحله يوم ١٠ يونيه

فأحدث هذا الأمر انقلابا حقيقيا فى أميال النواب ورغائبهم وخططهم واتفق حزبا الاحرار والمتقدمين على أن يطالبا باعطاء المجلس حقوقه الكاملة كلها ومنحه سلطة الاشراف علي الوزارة حتي يكون اسقاطها بيده ولا يبقى هو فى قبضتها إن شاءت تركته وإن شاءت حلته . واتحاد هذين الحزبين كان معدوداً من الأمور المستحيلة لان مباديهما مختلفة وبين مشربيهما فرق بين . ولكن كراهة الوزارة جمعتهما فى حزب جديد سموه « كنساى تو » أي الحزب الدستوري

وما علم المركيز إيتو بهذا النبأ حتى رأى من واجبه الوطني مساعدة خصوم الأمس فى مجهودهم النافع الجميل. وعرض على الميكادو فى مجلس الوزراء الذي عقد تحت رئاسته عقب هذه الحادثة رأيه بهذا الشأن وأعرب عن رغبته فى ترك رئاسة الوزراء لهذه الغاية . فعارضه زملاؤه وقالوا جميعاً ان مصلحة المملكة تقضى ببقاء الحالة على ماهي عليه . وجاءت الحوادث بعد ذلك مؤيدة لهم فى زمن قصير

ولكن إيتو لم يقتنع بآرائهم وقدم استقالته لمولاه وأشار عليه أن يختار خلفاله. إما الكونت أوكوما أو الكونت إيتاجا كى أى أحد زعيمى الحزب الدستورى. فدعاهما الميكادو لقصره وبعد محادثة طويلة مع كل منهما عين الاول رئيسا للوزارة الجديدة وظن الكثيرون وقتئذ ان هذا التعيين هو الخطوة الأولى في سبيل الوصول الى إيجاد « حكومة نيابية » فى اليابان . ولكن الاختلاف بين حزبى الاحرار والمتقدمين كان كبيرا جداً فبينما كان الاولون يطلبون التوسع فى نفقات الحربية والبحرية كان الآخرون ينادون بالاقتصاد وتقليل المصروفات

وكنت إذ ترى الكونت إيتاجاكى يطالب الحكومة بشراء السكك الحديدية من الشركات تسمع الكونت أوكوما يرفض اتباع زميله في مشروعه ويقول انه عقيم الفائدة

ولما كانت وزارة أوكوما مؤلفة من أعضاء تابعين للحزبين فقد ظهر الشقاق فيها وفقدت الوحدة الضرورية لكل هيئة حاكمة وصار كل واحد من الزعيمين ينشر في الجرائد آراءه في هذه الحالة وأفكاره وشكاويه من زميله وأعلنت الصحف سيادة الفوضى فى قلب الوزارة . ولم يلبث هذا الحال طويلا حتى تعهد المسيو «أوزاكى» وزير المعارف بوضع حد له فألقى على أساتذة المدارس خطبة قصد بها حضهم على تربية الاخلاق وقال فيها :

« ان عدوى انحطاط الاخلاق قد سرت الينا وسعادة الحال التي أدى اليها الارتقاء الاقتصادى فى البلاد جعلت المال هو الحاكم القوى السلطان . ومن المحتمل ان اليابان لو صارت جمهورية بعد ألف عام لاتتردد فى اختيار مثل « ميتسوى » أو «إيوازاكى» - أكبر أغنياء اليابان - رئيسا

عليها على حين ان الجمهوريات العارفة لمقامها واحترامها مثل الولايات المتحدة لا تفكر مطلقا فى اختيار مثل « فندربلت » أو « أستور » رئيسا لها »

وما انتشرت هذه الخطبة حتى هاج اليابانيون ضد قائلها وعدوه عدواً للميكادو وعائلته وأخذت الجرائد تطعن عليه حتى استقال اجابة لطلب الامبراطور . وقام الجدال بعد خروجه بين المتقدمين والاحرار على تعيين خلف له : كل يطلبه من حزبه . ولما اشتد الخلاف وحمي وطيس الأخذ والرد رأى الأحرار أن لا بد لهم من الانفصال فعقدوا اجتماعاً بدون أن يدعوا رفاقهم المتقدمين اليه . وقرروا باجماع الآراء حل الحزب الدستورى وتأليفه من جديد من أعضاء أحرار ليس الا . ونظراً لانهم كانوا أكثر من المتقدمين عدداً اعتبر قرارهم هذا جائزا بمقتضى اللائحة التي وضعت عند تأسيس الحزب . ولم يفد احتجاج المتقدمين على هذا العمل الاستبدادى لأن الاحرار كانوا اقيدوا في دائرة الشرطة خبر الحزب المنحل والحزب المؤسس طبقا لشروط القانون

ولما أراد المتقدمون عقد اجتماعهم للنظر في المسئلة صدر اليهم أمر ناظر الداخلية ـ وكان من الاحرار ـ بأن ينفضوا لأن الحزب الدستورى القديم أصبح منحلا . وأنذرهم رجال الشرطة بفضهم قهرا إن لم يتفرقوا طوعا

وبذلك خاب النواب في إيجاد حكومة نيابية في بلادهم ومنح المجلس كل حقوقه ورأى الميكادو فيما وقع درساً نافعاً له لانه احترم رغائب الشعب وترك الاحزاب تتفق وتفترق بدون أن يتداخل بينها حتي تم لها الفشل ودعته حاجات البلاد لأن يختم هذه التجربة العجيبة فأسقط الوزارة ودعا المارشال « يماجاتا » لتأليف وزارة من رجال غير تابعين للاحزاب

وقد غيرت هذه الحادثة أفكار المركيز إيتو ورأى بعدها أنه لابد لليابان من المحافظة على دستورها الحالى . وصرح فى سبتمبر عام ١٨٩٩ لأحد الصحافيين بهذا الرأى فقال :

« ان الحكومة النيابية لاتأتي بثمرات محمودة فى انكلترا نفسها وخصوصا فى مسائل السياسة الخارجية . ولكني أقول ان وجود أحزاب كبرى ضرورى لسير الاعمال . وليس

لليابان الآن منها النصيب الوافر ومن الواجب تأسيسها »

*
* *

واذا كان النواب اليابانيون لم يفلحوا فى هـذه التجربة فانهم أفلحوا في أشياء أخرى وسبقوا المجالس النيابية الاوروبية فى أمور مشكورة . فمن مزاياهم المعدودة انهم يحافظون على سنة الاقتصاد في مالية البـلاد محافظة كبرى ولا يسمحون بزيادة الضرائب الا بعـد عناء كبير وبحث دقيق . وقد عادت هـذه الخطة بالفوائد الجسيمة على الحكومة والاهالي معاً فعلمت الوزراء التدبير والحزم وعودت الافراد علي قبول كل ما يقرره المجلس بالشكر والارتياح

ولو قارن المنصف بين مجلس النواب اليابانى وبقية المجالس النيابية الاخري لوجده قد خطا فى سنوات قلائل خطوات تذكر وارتقى ارتقاء عظيما وصار له رأى مسموع ورغبة محترمة. وقد دل على خبرته ومعرفته لمصالح البلاد فى الظروف الحرجة والمواقف المهمة . فوافق وزارة « يماجاتا » فى عام ١٨٩٨ على تقرير القوانين المـالية الضرورية لليابان وقرر ٢٨٤ أمراً نافعاً

فى مدة اجتماعه أى فى ثلاثة أشهر . وسهل للحكومة تنفيذ المعاهدات التى عقدت مع الدول الاجنبية

وقد أظهر المجلس وطنية عالية فى أيام حرب اليابان مع الصين فوافق بالاجماع على كل ما طلبته الحكومة ولم ير اليابانيون أحزابهم متفقة الكلمة متحدة الرأى بلا ضوضاء ولا نزاع داخلى كما رأوها في تلك الايام . ولا شك ان مجلسا فيه هذه الفضيلة العالية يعد فى الصف الاول من المجالس النيابية الراقية . لانه يستحيل على الاجنبى شراء أحد من أعضائه لخيانة الوطن أو تضييع حقوقه كما سمعنا ورأينا في بلاد أخري

وان هيئة نيابية تقوم على هذا الشعور الحي ولا يوجد بين أفرادها واحد لا يشارك البقية فيه لكفيلة باسعاد بلادها واعلاء شأن مملكتها . ولكفيل الزمان بمنحها ماتشاء من السلطة والنفوذ !

الادارة والقضاء

كانت اليابان مقسمة قبل عام ١٨٦٨ الى ثلاثمائة قسم أو « هان » على رأس كل واحد منها حاكم يسمي « دايمو » يخضع لسلطة الشجن بصفته نائبا عن الميكادو . فلما ألغيت حكومة الاشراف والالتزامات وتنازل أولئك الحكام عن حقوقهم القديمة قسمت البلاد الى أقاليم أو « كن » . وجعل عددها في بادئ الامر ٦٨ ثم صار الآن ٤٣ واختصت مدائن طوكيو وكيوتو وأوزاكا بنظام خاص لغاية عام ١٨٩٨ ثم خضعت بعد ذلك التاريخ للنظام العام

ويحكم كل اقليم مدير يختاره ناظر الداخلية ويشاركه في السلطة مجلس من الموظفين وفى كل إقليم جمعية منتخبة من الاهالى للنظر فى مصالحهم وتنبيه المدير والمجلس الى ما يجب القيام به من الاعمال النافعة

وتقسم الاقاليم الي « شي » أو مدائن و « جن » أو

مقاطعات زراعية . وهذه مقسمة الى « تشو » أو مدائن صغري و « سون » أو قري . ويقوم بادارة المقاطعات الزراعية وكيل للمدير

والفرق بين المدينة والمدينة الصغرى ان عدد سكان الاولى يتجاوز ٢٥٠٠٠ نفس . وهي ممتعة باستقلال أكبر وأوسع من الثانية . ولناظر الداخلية أن يحرم أى مدينة من الحصول على هذه الصفة وأن يعتبرها مدينة صغرى

وفي كل مدينة مجلسان. المجلس التنفيذى والمجلس البلدى. ويتألف الاول من عمدة ووكيل ومستشارين . ويتكون الثانى من مندوبين ينتخبهم الاهالي . والعمدة هو موظف له مرتب من الحكومة . يعينه الميكادو لمدة ست سنوات ويختاره من ثلاثة ينتخبهم المجلس البلدى . ووكيل العمدة هو موظف أيضا يعينه مدير الاقليم لمدة ست سنوات بناء على طلب المجلس البلدى

أما أعضاء المجلس التنفيذى فهم منتخبون من الاهالى البالغين من العمر ثلاثين سنة فاكثر . وهم يقومون بأعمالهم

بلا مقابل

وقد قضى النظام الأداري فى اليابان ان يؤلف المجلس البلدي فى كل مدينة يبلغ عددها خمسين ألف نفس من ٣٠ عضواً وأن يزادعدد الاعضاء الى ٣٦ اذا كان سكان المدينة بين خمسين ألفاً ومائة ألف . وأن ينتخب ثلاثة أعضاء عن كل خمسين ألف نفس اذا جاوز عدد المدينةمائة ألف شخص أى ان المجلس البلدى يكون مؤلفامن٣٩عضواً اذا كان سكان المدينة ١٥٠٠٠٠ شخص ومن ٤٢ اذا كانوا ٢٠٠٠٠٠ وهكذا

ولكي يكون الانسان منتخبا (بالكسر) يجب أن يكون بالغامن العمر خمسة وعشرين عاماً فأكثر ومقيما فى المدينة منذ عامين وممتعا بكافة الحقوق السياسية وأن يدفع من الضرائب مالايقل عن ٢ ين (أى ٢٠ غرشا) في العام

وقد قرر القانون الأدارى الياباني منح حق الانتخاب للنساءوالشركات التجاريةاذا كانت واحدةمن ثلاث هي أكثر من يدفع الضرائب بين الاهالى

ويصح انتخاب أى انسان للمجلس البلدى مادام ممتعا

بالحقوق السياسية وبالغا من العمر خمسا وعشرين سنة فأكثر ولا يشترط قيام المنتخب (بالفتح) بدفع ضريبة ما

ولا ينقد اعضاء المجلس البلدي شيأ على خدمتهم. وينتخبون لمدة ست سنوات ويجدد انتخاب نصفهم كل ثلاث سنوات

وفي أول كل عام ينتخب أعضاء المجلس البلدى منهم رئيسا ووكيلا لمدة سنة . ويجوز لكل واحد من الأهالى ان يحضر اجتماعات المجالس البلدية لأنها علنية

وفى المدائن الصغرى والقرى يتولى العمدة رئاسة المجلس البلدى . واختصاصات المجالس البلدية في اليابان هى كاختصاصاتها في بقية البلاد المتمدنة . لا يعمل عمل الا بأمرها ولا يصرف درهم واحد بغير ارادتها

وللموظفين فى اليابان شأن كبير واحترام عظيم خصوصا الحائزين منهم لألقاب الشرف أو الذين تعلموا فى أوروبا . وقد قدمنا ان الميكادو تلد العرب فى ايجاد لقب برنس أو (دوق) ومركيز وكونت وفيكونت وبارون . والذى أشار عليه بوضع هذه الالقاب هو المركيز إيتو . وقد صدر الأمر بها في عام

١٨٨٤ . وتقرر من ذلك الوقت صرف مرتب سنوي من خزينة الميكادو لاصحابها وتقييدهم بقيود مخصوصة . منها انه لا يسمح لاحد منهم بالزواج بغير اذن أمبراطورى

ومع ان الأفكار الحرة والمبادئ العصرية نمت فى اليابان وأينعت فان الامة لاتزال منقسمة الى ثلاثة أقسام : كبار الاشراف أو « كوازوكو » وصغار الاشراف أو « شيزوكو » وهم من الساموراى . وعامة الشعب أو « هيمين » . واحترام كل طبقة للأرفع منها كبير . وقد بلغ فى عام ١٩٠٠ عدد عائلات كبار الاشراف ٧٠٦ وعدد عائلات صغار الاشراف ٤٣٩٣٨٤ ومجموع أفراد الاولى ٣٨٤٥ والثانية ١٦٦٦٣٠١ من الاشخاص

*
* *

كانت القوانين اليابانية في الازمان الغابرة غير مكتوبة يحفظها كبار العائلات ويعرفها ذوو المقامات حتي قام البرنس « شوتوكو » فى عام ٦٠٤ بعد المسيح بوضع « السبعة عشر قانونا الاساسية » . وفي سنة ١٢٣٢ وضع الشجن « هوجو » دستوره الذي اتبعته اليابان حيناً من الدهر طويلا . ثم جمع « يوشى

متسو» في سنة ١٧١٦ في كتاب واحد الأوامر العالية والقوانين التي أصدرها كل شجن تولي. وفي سنة ١٧٤٢ ظهر قانون عائلة « توكوجاوا » باسم «المائة مادة لعائلة توكوجاوا » وهذه المواد كانت خاصة بالمسائل الجنائية . ولم يوزع القانون الاعلى الوزراء والقضاة لان قاعدة هذه العائلة في الحكم كانت : «يجب أن لا يعلم الشعب بالقانون بل يطيع طاعة عمياء »

ولما خرجت اليابان من عزلتها وقامت من رقادها ونهضت طالبة نصيبها من مجد الحياة وعزها أوفدت الى باريس سبعة من موظفي نظارة العدالة لدراسة الشرائع الفرنساوية وكلفت المسيو «بواسوناد» المدرس بكلية الحقوق بباريس بالقاء خطب عليهم في القانونين النظامي والتجارى ثم رأت وجوب استدعائه الى بلادها للانتفاع بعلمه وفضله

وقد اهتم اليابانيون اهتماما فائقا بتنظيم العدالة في المملكة وجعلها سائرة علي أتم نظام حتى يتم العمران وتقتنع أوروبا بان اليابان صارت دولة متمدنة كبقية الدول وتزيل تلك القيود الثقيلة قيود الامتيازات الأجنبية . ولم يهدأ للساسة اليابانين

بال حتى بلغت محاكم بلادهم غاية الرقى وضارعت المحاكم الأوروبية ومحيت تلك القيود ودخلت دولتهم فى عائلة الدول المتمدنة الراقية

وكان أول ما وجهت الحكومة اليابانية عنايتها اليه وضع قانون العقوبات لانه الكافل للأمن والسلام والأرواح. فأصدرت عقب ثورة عام ١٨٦٨ منشوراً باتباع قانون عائلة « توكوجاوا » لحين صدور غيره ثم حورته ونشرت «قانونا جنائيا مؤقتاً » . وفى سنة ١٨٧١ أصدرت قانونا جديدا مشتملا على ستة أجزاء ألفته من القوانين القديمة والصينية بعد أن خففت من شدة أحكامها . وبعد عامين من نشره واتباعه أظهرت « قانونا معدلا » مشتملا على عقوبات لم تذكر فى القانون السابق ومخففا شدة بعض الاحكام

ولم تكتف بذلك بل رأت من الضرورى وضع قوانين ملائمة للمدنية العصرية التي أخذت تدخلها فى بلادها وكلفت المسيو « بواسوناد » فى عام ١٨٧٤ بوضع مشروع لقانون

العقوبات وآخر لتحقيق الجنايات

وقدقام رجلان فى هذا الانقلاب القضائي العظيم بخدمة اليابان خدمة كبرى وهما المركيز إيتو والمسيو «أوغي تا كاتو» وزير العدالة . فانهما كانا على الدوام المشرفين على وضع القوانين وتنقيحها المراقبين لاعمال اللجان

وماشرع المسيو « بواسوناد » فى القيام بما عهدته الحكومة اليه حتى أصدر المسيو «أوغى تا كاتو » أمراً بانشاء لجنة مؤلفة من رجال التشريع تحت رئاسته للنظر فيما يضعه واستمرت اللجنة منعقدة والمسيو بواسوناد يحضر جلساتها من سبتمبر عام ١٨٧٥ لغاية يوليه عام ١٨٧٧ . وبعد انتهائها من أعمالها قدمت المشروعين للحكومة . فرأت وجوب عرضهما على لجنة أخرى أكبر من الاولى . وبعد تعديل وتغيير وتحوير طبع القانونان فى عام ١٨٨٠ وصدر أمر الميكادو باعتبارهما نافذى المفعول من أول يناير عام ١٨٨٢

وما اطمأنت الحكومة اليابانية باتمام قانونى العقوبات والجنايات حتى كلفت المسيو « بواسوناد » فى عام ١٨٧٩ بوضع

مشروع للقانون المدنى وآخر للمرافعات المدنية وعينت لمناقشته فى موادهما أولا فأولا لجنة من رؤساء محاكم طوكيو وبعض موظفي نظارة الحقانية . واستمرت هذه اللجنة تعمل بجد واهتمام حتي تم وضع القانونين وعرضا على لجنة أخرى من بعض أعضاء اللجنة الاولي ومن بعض الشيوخ واعضاء مجلس الحكومة واعضاء مجلس التشريع العام . فأدخلت فيهما تعديلا يناسب حالة البلاد واحتياجاتها ثم أرسلتهما الى رئيس الوزارة وبعد أن بحث مجلس الوزراء فيهما ومجلس الشيوخ والمجلس الخاص أصدر الامبراطور أمراً بهما فى عام ١٨٩٠ وباعتبارهما نافذى المفعول من أول يناير عام ١٨٩٣

والتفتت الحكومة كذلك فى عام ١٨٨١ الى وجوب وضع قانون تجارى لان القانون اليابانى القديم كان لا يميز بين القوانين المدنية والتجارية . فألفت لجنة لهذا الغرض من الموظفين الواقفين على المسائل التجارية وكلفت المسيو « هرمان روسلر » المتشرع الالمانى الشهير بوضع مشروع لذلك القانون . فقام بهذا العمل أحسن قيام وبعد أن أتمت اللجنة

النظر فيه وتنقيحه عرضته الحكومة على لجنة أخرى ثم على مجلس الشيوخ وأصدر الميكادو به أمراً فى ٢٧ مارس عام ١٨٩٠ وقرر العمل به من أول يناير سنة ١٨٩١ أى قبل تنفيذ القانون المدنى بعامين . ولكن مجلس النواب أقر فى أول اجتماع له على تأجيل اتباعه لغاية أول يناير سنة ١٨٩٣ لتكون القوانين كلها نافذة المفعول مرة واحدة ثم عاد في سنة ١٨٩٢ وقرر بالاتفاق مع مجلس الاشراف تأجيل تنفيذ القوانين الجديدة الى أول سنة ١٨٩٧ فاحتج الوزراء على هذا القرار احتجاجا شديداً وأشاروا على الميكادو بعدم الموافقة عليه. ولكنه احترم ارادة النواب وكان ماقرروا

ورأت الحكومة عندئذ من مصلحة البلاد الانتفاع بهذه الفترة لتنقيح القوانين تنقيحاتاما فأنشأت فى عام ١٨٩٣ لجنة تحت رئاسة المركيز إيتو للقيام بهذا الغرض .فنقحت فعلا المواد الكثيرة ومادخل عام ١٨٩٧ حتى نفذت القوانين الجديدة وسارت المحاكم على النظام الحديث واعترف الاوروبيون بان الشريعة اليابانية قريبة من شرائعهم وأنها موافقة

لحاجات البلاد ومصالحها . ملائمة للمدنية ومطالبها

والمحاكم مقسمة هناك الى درجات . ففى اليابان ٢٩٩ محكمة جزئية لقضايا الصلح والمخالفات موزعة بين المدن والقرى و ٤٨ محكمة ابتدائية للنظر فى قضايا الجنح وكافة القضايا المدنية ولتحقيق القضايا الجنائية . و ٧ محاكم استئنافية للنظر فى استئناف الجنح والقضايا المدنية . وفى كل ثلاثة أشهر تؤلف محاكم للجنايات فى محاكم الاستئناف وفى المحاكم الابتدائية أحيانا وهي مكونة من رئيس وأربعة قضاة يختارون من قضاة محاكم أول وثانى درجة

وقد انشئت فى عام ١٨٧٥ بطوكيو محكمة للنقض والابرام وهى تنظر فى القضايا المدنية والجنائية على السواء

والقضاة فى اليابان غير قابلين للعزل. اللهم الا اذا صدرت منهم أعمال تستحق الاحكام التأديبية أو الجنائية وهم يعولون في نظر القضايا وإصدار الاحكام على النتائج التى يقدمها المحامون ويجرون فى ذلك على خطة الرومانيين وقدماء المصريين الذين كانوا يخافون تأثير البلاغة والبيان على عقول القضاة

المالية

العناية الكبري بالمالية . نفقات محو النظامات القديمة ورد الاراضى للفلاحين . المالية قبل الحرب مع الصين . حالتها عقب الحرب . النفقات الجديدة لتقوية الحربية والبحرية . الديون . زيادة الايرادات . الضرائب

أبدى ساسة اليابان من أول عهد الحكومة الجديدة حكومة الميكادو الحالى . اهتماما عظيما وعناية كبرى بالمالية لعلمهم انها قلب المملكة الذى يوزع الدم على سائر الاعضاء وان فى استقامة أحوالها تقدما عاما لكل فروع الحياة القومية وصيانة لاستقلال البلاد . وقد عرف القاريء مما قدمنا ان المركيز إيتو والكونت أوكوما هما صاحبا الفضل الاكبر والايادي البيضاء فى اصلاح المالية وتنظيمها وترتيبها حتى صارت من أحسن ماليات العالم كله . تضرب بها الامثال فى الدقة والجري على أقوم وأمتن الاساليب

ولم يكن تنظيمها بالامر اليسير حتى يتصور انسان ان

هذين الرجلين العظيمين لم يكونا فيما عملاه إلا مقلدين لأوروبا ونظاماتها . فقد كانت البلاد خارجة من أزمة شديدة تركت لها أحمالا ثقالا وكان من الواجب انقاذها من ورطات الماضى لتنال فى العهد الحديث كل ماتطمح النفوس اليه من سعادة فى الداخل وسيادة فى الخارج وحرية عالية المنار وسلطان رفيع اللواء .

فكان لا بد من قيام الحكومة بسداد ديون حكام الاقاليم الذين كانوا لكثرة مايأخذه الشجن منهم يستدينون غير حاسبين للمستقبل حسابا

وكان من المحتم دفع تعويضات مالية لهم وللساموراى مقابل تنازلهم عن حقوقهم القديمة .لاسيما وان الاراضى كانت فى قبضة الاشراف ولم يكن الفلاحون الا مستأجرين . فرأت الحكومة ان العدالة الصحيحة تقضى برد الاراضى الى أصحابها الحقيقيين أي الفلاحين وأن لا نجاح للبلاد بغير هذه الطريقة التى قضت انكلترا الأعوام الطوال لقبولها والاعتراف بنفعها فى ايرلندا فقررتها أخيراً واستدانت مائة ألف جنيه لدفع ثمن الاراضى الايرلندية الى اللوردات وأخذها مع فوائدها

من الاهالى على أقساط

وقد أظهرت الحكومة اليابانيــة براً برعاياها لم تظهره حكومة فى العالم فردت للمزارعين الارض بدون أن تطالبهم بثمنها أو بما دفعته للاشراف ليتنازلوا عن حقوقهم

وفضلا عن ذلك فان الميكادو كان قد منح في عام ١٨٦٨ معاشات لمن ساعـدوه في قلب حكومـة الشجن وأيدوه فى سياسته الوطنية . وكان بعضها للعمر كاه والبعض الآخر وراثياً فرأت الحكومة من مصلحتها دفع عوض مالى مقابل هــذه المعاشات حتى لا تكون عبأ أبديا على الميزانية

ولم يكن حل كل هــذه المسائل فى كلمة يخطها قلم على قرطاس أو فى أمر أمبراطورى ينفذ طوعاً أو قهرا . لان حكومـة الميكادو أرادت أن تعرف رعاياها كيف تكون العدالة ويكون الانصاف . وأن تقوم هى نفسها على أسلم أساس

فبدأت بدفع ديون الاشراف . وقســمتها الى أقسام اشترت قسما منها بمبلغ سبعة ملايين ين ونصف دفعت ثمنه نقداً . وعقدت سلفتين إحداهما بأحد عشر مليون ين والثانية

باثني عشر مليوناو نصفاو خصصت الاولى لدفع الديون السابقة لعام ١٨٦٨ والثانية للديون التي اقترضها الاشراف من ذلك العام الى سنة ١٨٧١ أى الى تاريخ محو حكومة الالتزامات .
وقررت صرف الاولي على مدة خمسين عاما وعدم منح أصحابها فائدة ما والاخري على مدة أربعة وعشرين عاما واعطاء أصحابهافائدة ٤ فى المائة . وسحبت الاوراق المالية التي كانت قد سقط اعتبارها وغيرتها بسندات باسم الحكومة كلفتها نحو ٢٣ مليون ين . أى انها اضطرت لانفاق مبلغ ٥٤ مليون ين (أى ٥٫٤٠٠٫٠٠٠ جنيه تقريبا)

ولما انتهت من تسوية هذه الديون نظرت فى أمر المعاشات التي يتناولها الاشراف مقابل تنازلهم عن الاراضى التي كانوا يستغلونها أو مقابل اخلاصهم للميكادو وقيامهم هم والساموراى بتعضيده ضد الشجن . وكانت تبلغ عشرة ملايين هيكتولتر من الارز فى العام مما كان يقدر فى ذلك الوقت بخمسة وعشرين مليون ين . وعند ما عرضت هذه المسئلة على مجلس النظار لم يرتفع صوت واحد بطلب محو المعاشات محوا

استبداديا كما كانت تفعل أغلب حكومات الشرق في مثل ذلك الموقف . بل أجمع الكل على وجوب دفع تعويضات كافية وافية عادلة لا يدعي معها أحد الظلم أو ينسب للحكومة الاجحاف . وقرروا بناء على اقتراح الكونت أوكوما تطبيق هذه القاعدة على المعاشات الصغيرة فى أول الامر ثم تنفيذها على الكبيرة بصفة تدريجية . وصدر قانون أمبراطورى فحواه ان الحكومة مستعدة لان تدفع لكل من يتناول معاشا سنويا لا يزيد عن ١٨٠ هيكتولترا من الارز مرتب ست سنوات اذا كان معاشه ورائيا ومرتب أربع سنوات اذا كان للعمر فقط . وأن تدفع نصف المبلغ نقدا وتعطى بالنصف الآخر سندات مالية على الحكومة بفائدة ٨ فى المائة

وما انتشر خبر هذا القانون حتى أمطرت الطلبات على وزير المالية من كل ناحية وارتاحت الخواطر اليه فى كل بلد وشعر أصحاب المعاشات بأنه مفيد للحكومة وغير ضار بهم فقبلوه مرتاحين . وازدادت الحكومة ثقة بصلاحيته فعممته على المعاشات الزائدة عن ١٨٠ هيكتولترا من الارز . ثم أصدر

الميكادو فى عام ١٨٧٦ أمراً بأن تغيير المعاشات يصير اجباريا من أول سنة ١٨٧٧ . وتقرر صرف العوض المالى لمدة سنوات كثيرة اذا كان المعاش قليلا وبالعكس . وجعلت المدة بين خمسة أعوام وأربعة عشر عاما . واعتبرت الفائدة ٧ فى المائة للمعاشات الصغيرة و ٥ فى المائة للمعاشات الكبيرة

وقد دفعت الحكومة بذلك سندات للاشراف والساموراى وبعض رجال الدين بما يقدر بمبلغ ٢١٠٩١٠٤٥٧ ينا (أي ما يزيد عن ٢١ مليونا من الجنيهات) . وهو مبلغ جسيم. ولكن الحكومة استراحت به على مر السنين لانها كانت تدفع للمعاشات سنويا مبلغ ٢٥ مليون ين كما قدمنا . وصارت تدفع بعد ذلك ١٢ مليون ين فى العام كفوائد للديون التى اقترضتها لهذه الغاية . ثم أخذت تسددها شيئاً فشيئاً

واهتمت بعد اتمام هذه الاصلاحات المالية العظمى بترقية حالة البلاد وثروتها فأسست « بنك اليابان » ومدت خطوط السكك الحديدية وساعدت الافراد وذوى الهمم على انشاء شركات للملاحة . وخطت الزراعة والتجارة والصناعة

خطوات واسعة بفضل عناية الحكومة وعدالتها . وبالجملة نهض جسم المملكة كله نهضة قوية وأبدي كل عضو من أعضائه مهارة وحياة ومعرفة فيما عهد اليه . حتى جاء عام ١٨٩٤ وقامت الحرب مع الصين . ودولة الميكادو على هذا الحال من الارتقاء وسير المالية على أتم نظام

***

تبتدئ السنة المالية فى اليابان من أول ابريل وتنتهي في آخر مارس . وقد كانت الايرادات فى ميزانية عام ١٨٩٣ — ١٨٩٤ أي قبل الحرب بأشهر قلائل ٨٩٠٤٢١٣٠ ينا يقابلها من المصروفات مبلغ ٨٤٥٨١٨٧٢ (أى نحو ثمانية ملايين ونصف من الجنيهات)

ولما جاءت سنة ١٨٩٦ — ١٨٩٧ كان لدى الحكومة مبلغ ٣٩ مليون ين متوفرة من زيادة الايرادات عن المصروفات ولم يكن يتجاوز دينها ٢٨٣ مليون ين . مما يدل على ان الحالة المالية كانت زاهرة فى تلك السنين وان اليابان لم تطرق باب النفقات الباهظة الا بعد حربها مع الصين . وقد قررت لهذه

الحرب مبلغ ٢٠٠ مليون ين عولت على اقتراضه . ولكنها لم تصرف سندات مالية لغاية عقد الصلح الا بمبلغ ٨١٨٠٠٠٠٠ ين وكان لا بد لها من صرف بقية النفقات الحربية فرأت أن تدبرها بدفع ٨٠ مليون ين من الغرامة الحربية و٢٣٤٣٠٠٠٠ ين من المال المتوفر لديها و ٣٨٨٠٠٠٠ ين من الهبات التى قدمها سراة اليابانيين . وأن لا تعرض من سندات السالفة الا مايقدر فى المجموع بمبلغ ١٢٥ مليون ين أى انها تبيع سندات بمبلغ ٤٤ مليون ين غير التى باعتها لغاية عقد الصلح . وبذلك وجد لديها مبلغ ٢٣٢٣١٠٠٠٠ ين. ولم تكلفها الحرب مع الصين اكثر من ٢٣٠ مليون ين أى ان نفقاتها زادت ٣٠ مليون ين عما قدرته الحكومة قبلا

ولكن كل هذه الاجراآت التى قام بها ساسة اليابان بغاية الحزم والمهارة لم تؤثر علي مالية البلاد ولم توقعها فى أزمات الدين . غير ان الروسيا وفرنسا وألمانيا أحدثن انقلابا عظيما فى قوى اليابان واستعدادها وماليتها حيث تداخلن عقب حربها مع الصين وانتصارها عليها

وحرمنها ثمرات ذلك النصر المبين وأخرجتها من شبه جزيرة « لياوتنج » وبورآرثر ومنعتها من مد يدها الى كوريا. وبالغن فى اضطهادها وظلمها فتركن الروسيا تحتل المواقع التى أرغمتها على مبارحتها وتحل محلها فى كل مكان . فأبت وطنيتها أن ترضى بهذه المظلمة ولم ترضخ عزتها الاهلية لهذا العدوان القبيح . بل كظمت غيظها وأخذت تستعد لطرد الروس من الشرق الاقصى والاخذ بالثار لنفسها من الدولة القيصرية التى غدرت بها غدراً لاتنساه أمة ذات شمم وكرامة. فقررت مضاعفة عدد جنودها. فبعد ان كان الجيش مؤلفاً من ستة فيالق صار الآن مكونا من اثني عشر فيلقا . وأصبح عدده فى السلم ١٥٠٠٠٠ رجل وكان لغاية عام ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ لايتجاوز ٧٥٠٠٠ رجل وأبلغ فى مدة الحرب الى ٥٢٠٠٠٠ وكان من قبل بين ٢٧٠٠٠٠ و ٢٨٠٠٠٠ جندى . ووضعت للبحرية مشروعا جديدا يقضى بجعل أسطولها مؤلفا من ٦٧ بارجة منها ٧ مدرعات من الدرجة الاولى حمولتها ٢٥٨٠٠٠ طن (ومعها ١١ ضد الطوربيل و١١٥ طوربيلا) . ولم يكن لديها قبل

الحرب مع الصين الا ٤٣ بارجة حمولتها ٧٨٠٠٠ طن و٢٦ طوربيلا ولم يكن فى الاسطول اليابانى مدرعة واحدة . وشرعت تقيم الحصون والقلاع والاستحكامات فى كل الجهات

ولم تكتف بهذه النفقات الحربية والبحرية الهائلة . بل قررت زيادة خطوط السكك الحديدية والاسلاك التلفونية والتلغرافية وتشييد القناطر الضرورية ومساعدة المراكب التجارية وشركات الملاحة وانشاء كلية ثانية فى كيوتو . وبالجملة لم تترك نقصا حتى سدته ولم تتول منفعة ناشئة حتي أتمتها وجعلتها مصدرا للخير والاسعاد

وكان لابد من صرف مبالغ وافرة لتنفيذ هذا المشروع الجسيم الذى خصص فيه للبحرية وحدها ٢٢٦ مليون ين وللحربية ٨٢ مليون ين وللتحصينات والنفقات الحربية الاخرى ١٦ مليون ين ولبقية النفقات ١٩١ مليون ين . حتي بلغ المجموع ٥١٥ مليون ين (أى ٥١ مليونا من الجنيهات ونصف مليون). وقد تقدم المركيز إيتو لمجلسى النواب والاشراف بهذا المشروع وشرح أهميته وضرورته الحيوية للبلاد فوافقا عليه باجماع

الآراء وتقرر توزيع النفقات على عشر سنوات تبتدئ من عام ١٨٩٦ ـ ١٨٩٧ وتنتهي فى عام ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦

وللحصول على هذه المبالغ الطائلة قررت الحكومة صرف الغرامة الحربية الصينية ومقدارها ٢٣٠ مليون «تال» أى ٣٤١ مليون ين وقد دفعت الصين منها ٥٠ مليون تال فى نوفمبر عام ١٨٩٥ وسددت البقية فى مايو سنة ١٨٩٨ وقد قدمنا ان الحكومة خصصت منها مبلغ ٨٠ مليون ين لنفقات الحرب . فيكون الباقى منها ٢٦١ مليون ين . وكان المتوفر لدى الحكومة يبلغ ٣٩ مليون ين كما ذكرنا ذلك قبلا ثم بقى عندها من ميزانية عام ١٨٩٦ ـ ١٨٩٧ مبلغ ٥ ملايين ين . وقررت غير ذلك عقد سلفة بمبلغ ١٣٥ مليون ين . وبذلك صار لديها مبلغ ٥١٩ مليون ين أى أكثر مما تحتاج اليه بأربعة ملايين ين

وقد أبنا فى الكلام على الاعمال العظيمة التى تمت فى عهد الميكادو الحالى ان اليابان أدبت قرصان جزيرة « فورموزه » في عام ١٨٧٤ ثم تركتها للصين بعد أخذ غرامة منها . ولكنها

رأت بعد حربها معها فى عام ١٨٩٤ ابقاءها لنفسها لفائدتها لها
فأبقتها وقررت منحها مساعدة سنوية لمدة بضعة أعوام تبلغ
٦ ملايين ين لاصلاحها وترقية شؤونها . فكان لا بد مع هذا
الحمل الجديد من زيادة مبلغ ٢٥ مليون ين على السلفة لان
الخبيرين بحالة « فورموزه » رأوا انه لا بد من مدها بهذه
المساعدة مدة أربع أو خمس سنوات على الاقل . أي ان
اليابان اضطرت بعد حربها مع الصين الى عقد سلفة بمبلغ
٢٤٠ مليون ين . وصار من الامور المحتمة عليها كذلك زيادة
ميزانيتها زيادة كبرى بسبب كثرة القوى الحربية والبحرية

وقد أخذت الحكومة اليابانيـة الجانب الاكبر من
السلفة من اليابانيين أنفسهم لانهم ينفرون على الدوام من
الاستعانة بالاجنبي ويرون باستياء وتألم عقد قرض في الخارج
لمخالفة ذلك لمبادئهم الوطنية ولانهم يخافون شر التداخل
الغربي فى بلادهم . حتى أنك تجد خمسة أسداس ديون اليابان
ــ وهي لم تجاوز ٥٠ مليوناً من الجنيهات قبل الحرب الحاضرة ــ

لليابانيين أنفسهم . وقد قررت الحكومة اليابانية سداد الدين كله لغاية عام ١٩٣٨

ولا شك انه دين خفيف جداً اذاقارنا بينه وبين ديون الدول الاخرى التي تعداد سكانها مثل اليابان وقوتها فى البر والبحر معادلةلقوتها . وحسب دولة الشمس المشرقة فخاراً انها لم تستدن الا هذا المبلغ وقد بلغت مابلغت من حضارة وعمران ورقى وعظمةوسلطان على حين ان مصر فقدت استقلالها ووجودها السياسى وأضاعت قنال السويس واستدانت فوق ذلك كله ضعف دين اليابان ! !

*
* *

قدرت ميزانية اليابان فى العام الماضى من نفقات عادية واستثنائية بنحو ٢٥ مليوناً من الجنيهات بعد ان كانت لاتبلغ تسعة ملايين فى عام ١٨٩٤ أى انها زادت في تسع سنوات ١٦ مليوناً .وهي زيادة كبرى دعت اليها النفقات الحربيةوالبحرية. مما يدل القارئ على ان اليابان ضحت كل شئ فى سبيل الحرب الحاضرة واستعدت لها استعدادا عظيما وأنهكت قواها للفوز

فيها وباتت لاتقبل الحياة بغير الانتصار على عدوتها التى حرمتها ثمرات فوزها على الصين ظلما وعدواناً

وقد أبدى الماليون اليابانيون مهارة فائقة ودراية عجيبة فى تنمية ايرادات بلادهم . فباعوا من أراضى الحكومة وأملاكها ما استغنوا عنه . وزادوا الضرائب وقرروا رسوما جديدة على المبيعات والتسجيلات . وغيروا الرسوم على المشروبات الروحية تغييراً عاد على الميزانية بالفائدة . وضاعفوا رسوم الجمارك بعد تحوير المعاهدات الدولية وتجديدها . واحتكرت الحكومة الدخان فزادت ايراداتها ٨ ملايين ين فى السنة . ونمت كذلك إيرادات السكك الحديدية والتلفونات والتلغرافات نموا كبيراً وتضاعف بعضها

ولاقت الحكومة صعوبات جمة فى زيادة الضرائب العقارية فعارضها النواب المرة بعد المرة ولم يجيبوها الي طلبها الا بعد الجهاد العنيف والمساعى الكثيرة. ومع ذلك فان الياباني لا يزال يدفع من الضرائب أقل من سواه . فقد قدر رجال الاحصائيات المالية ان كل فرنساوى يدفع لحكومته في

العام من ٧٠ الي ٧٥ فرنكا والايطالى ٤٠ فرنكا والمصرى ٢١ فرنكا والروسى ١٦ فرنكا على حين ان اليابانى لا يدفع الا ٧ فرنكات و ١٠ سنتيمات

ويستدل من مراجعة الميزانية اليابانيـة على ان النفقات العادية والاستثنائية للحربية بلغت ٥٠١١٠٠٠٠ ين فى عام ١٩٠١ و١٩٠٢ وللبحرية ٣٨٥٢٠٠٠٠ ين وهى آخذة في الارتقاء على الدوام لزيادة عدد الأمة ونمو الثروة فيها . وتقدر زيادة الشعب اليابانى فى كل عام بما بين ٤٠٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠٠ نسمة. وبديهى ان هذه الزيادة التى لا تحلم بها فرنسا وغيرها من الممالك مما يقوى اليابان فى كل فروع الحياة ويجعلها قادرة على تحقيق آمالها ومطامعها عاجلا فى الشرق الاقصى

التربية والتعليم

تربية النفس . الشهامة والمحبة الوطنية . التعليم فى الزمن القديم المدارس فى العصر الحديث . المدرسون الاجانب والوطنيون . أخلاق الطلبة اليابانيين . تربية البنات . اللغة اليابانية . همم الافراد في نشر التعليم . كراهة اليابانيين للاجانب

اتفق الفلاسفة والحكماء وعلماء التربيــة على ان العائــلة هى المدرسة الاولى وأنفع المدارس كلها لان المبادئ التي يتلقاها الانسان فيها تعد المادة الحيوية للعلوم والمعارف التى يغــذى بها عقله ولبه وروحه . والاساس لقوام حياته ووجوده . وبديهى انه اذا كان الاساس متينا قويا قام البناء وبقى راســخا . لا تزعزعه الحوادث ولا تؤثر عليه الزوابع . وبالعكس اذا كان مختلا فاسداً لا يلبث البناء حتى يتداعى ويزول

وقد وجد اليابانيون من قديم الزمان فى عائلاتهم أصح مبادئ التربية وأسلم أصولها . فنشأوا علي الشهامة والفروسية واحتقار الموت وحب الوطن والتفانى في خدمته واعلاء شأنه .

ورباهم آباؤهم وأمهاتهم من أيام طفوليتهم على اعتقاد الخير والرفعة فى الامة اليابانية والنظر اليها بعين الاجلال والاعظام والتفاخر بالانتساب اليها واعتبارها أفضل الامم وأجل الشعوب. ولا غرابة اذا بلغ اليابانيون بفضل هذه التربية ذلك الشأو الذى نغبطهم عليه ونهضوا ببلادهم فى سنوات معدودة تلك النهضة التي تركت العالمين حيارى مندهشين

وليست العناية بالتربية والتعليم فى اليابان حديثة . بل اهتم القوم بها قبل أوروبا بقرون وأجيال . وتولى رجال الدين أمرها بين طبقات الشعب. وكان فى كل مقاطعة مدرسة كبرى غير مدارس القري والمدائن

واختص أبناء الساموراى والاشراف بدراسة العلوم العالية في كايتى كيوتو وطوكيو حيث كانوا يتعلدون الفلسفة الصينية وآداب اللغة اليابانية وأهم مؤلفات الصين . وكانت المدارس مقسمة الى ثلاثة أقسام: ابتدائية وثانوية وعالية . وأهم ما كان يدرس بها «الواجبات الادبية للانسان» و«الكتب الاربعة الحكمية لقومفسيوس» و «كتاب واجبات الابناء نحو

الآباء » و « كتاب سلالة عائلة الميكادو » و « واجبات الأدب والطاعة » و « كتاب الابطال المشهورين بالشجاعة والاقدام » وغير ذلك من المؤلفات التي كانت تبعث الحمية فى النفوس وتهذب الاخلاق وتربى الشهامة والجرأة وتقديم الروح فداء للشرف . وكان للالعاب الرياضية والتمرينات العسكرية نصيب وافر فى ساعات التعليم ليقترن نمو الفكر والروح بنمو الجسم . وكانت تعقد فى المدارس حفلات سنوية لاختبار الطلبة ومكافأة الاكفاء والمجدين منهم. وأسعدهم حظا من كان يعطى ثوبا أبيض عليه رسم أسلحة الشجن لانه كان يعتبر اسمى مكافأة يعظم لابسها ويجل من الكبير والصغير. أما العقوبات فكانت الحبس والضرب بالكرباج وتحميل الطالب لوحة على رأسه مدة ساعات طويلة

وقد كان لرجال الدين البوذي الشأن الاول فى تعليم الامة اليابانية وتربية أطفالها فخصصوا قسما من المعابد للتدريس ولبثوا مدة عشرة قرون القائدين للشعب المرشدين له . الى أن تولى أمور البلاد الشجن « يياس » ودعا الناس لترك « بوذا »

ومبادئه والاستعانة بانوار « قومفسيوس » وتعاليمه للوصول الي أرقى المعارف الدنيوية والآداب المرغوبة . وكان من مصلحته الكبرى تحويل تيار التعليم فى البلاد ونشر دين قومفسيوس وأحكامه لانه يأمر الابناء بطاعة الآباء ويحبب الى الجميع الخضوع للامير والحاكم وقداستخلص « يياس » منه القواعد الاساسية لحكومته فأصدر كتابه المشهور « بالمائة قانون » وقال فيه :

« انه يجب علي كل فرد من الرعية أن يكون مستعداً على الدوام لتقديم قواه وذكائه وأملاكه خدمة للأمبراطور. وأن يضحي الابن ذلك لمنفعة أبيه والتلميذ لصالح أستاذه . لانه مدين للامبراطور بغذائه ولاهله بوجوده ولأستاذه بمعارفه . ولا معني للحياة بغير هذه المزايا الثلاث»

*
* *

وقد تدمنا ان بعض اليابانيين الشغوفين بمعرفة مايجرى فى أوروبا اختلطوا قبل ثورة عام ١٨٦٨ بالهولانديين فى ثغر « نجازاكى » واستفادوا منهم فوائد جسيمة . ولما جرى

الانقلاب الحديث ورجعت السلطة الى الميكادو صاحبها الشرعى
ورأي اليابانيون انهم لا يقاومون أوروبا الا بعلومها واختراعاتها
ولا يستطيعون مجاراتها ومنافستها الا بأسلحتها الحديثة اهتمت
حكومتهم بالتعليم والتربية اهتماما جاوز كل حد فأرسلت
الارساليات الى أوروبا وأنشأت فى عام ١٨٧١ نظارة المعارف
ووضعت القوانين الخاصة بها المنتخبة من أوفق نظامات المعارف
في أوروبا واختارت لها أفضل الناس وأصلحهم لتسييرها فى
الطريق النافع وأصدر الميكادو منشوراً على التربية أبان فيه ان
الغرض منها هو اخراج رجال يفدون الوطن والامبراطور
بأرواحهم . واستمرت عناية الحكومة بالمدارس فى ازدياد
حتى صار التعليم في اليابان الآن بالغا غاية الانتشار والرقى .
وحسب القارئ أن يعلم ان في أحقر القرى اليابانية المكاتب
والمدارس وان الجهالة تعد عاراً كبيراً حتي بين صغار الفلاحين .
وان المدارس العالية لتخريج المدرسين منتشرة فى كل النواحي
وان لكل حرفة مدارس . وان كليتى طوكيو وكيوتو من اكبر
كليات العالم وأفخمها بناء ونظاما واستعداداً . وان مدارسها

العالية تضارع أرقى ماشيدته حكومات الغرب وأمريكا لتخريج المتشرعين والمهندسين والاطباء والعلماء فى كل علم وفن . وقد وصل مجموع المدارس الرسمية والاهلية فى عام ١٨٩٧ الى ٢٥٣٧٥ مدرسة وصار ٢٨٤٠٤ فى عام ١٩٠١ . منها ١٧٦٢ قامت بهمم الافراد . وكان عدد الطلبة ٣٢٨٥٧١٠ في عام ١٨٩٧ فصار ٤٠٣٠٩٧٣ في عام ١٩٠١ منهم ١٤٨٨٥٨ يتعلمون فى المدارس الاهلية . وبلغت نسبة الاطفال الذكور الذين يتعلمون لعدد أطفال المملكة كلها ٧٩ فى المائة . بعد ان كانت ٧١ر٦٦ في عام ١٨٩٧ . وبلغت نسبة البنات المتعلمات الى كافة بنات اليابان ٥٤ر٤٧ في المائة . بعد ان كانت ٤٦ر٣٦ فى عام ١٨٩٧ . ولا بد أن هذه النسبة ارتقت في الثلاث السنوات الاخيرة ارتقاء كبيرا كما انه لاشك فى انها ستكون مائة في المائة بعد قليل من الاعوام . لانها كانت قبل عام ١٨٦٨ ضعيفة جداً . فلم يكن يتعلم من البنين الا ٤٠ فى المائة ومن البنات الا ١٥ فى المائة . والفرق جسيم بين ما كان التعليم عليه يومئذ وما وصل اليه الآن .

وقد قسمت كلية طوكيو الى ستة أقسام : للحقوق. والطب. والآداب .والعلوم. والزراعة . والهندسة . وكان بها فى عام ١٩٠١ من المدرسين ١٧٥ أستاذاً ومن الطلبة ٢٠٠٠ واحد

ولما أنشأت الحكومة هذه المدارس وأخذت تنشر التعليم فى البلاد استعانت بالمدرسين الاجانب فى بادئ الامر لتنتفع بمعارفهم وتربى على أيديهم رجالا قادرين على القيام مقامهم ومحو كل أثر للتداخل الاجنبي فى البلاد . ولم تمض بالفعل سنوات معدودة بعد تعيينهم حتى زودتهم بالشكر والثناء وعينت غيرهم من اليابانيين وأصبحت دولة الشمس المشرقة اليوم تسير وحدها فى سبيل الرقي وتطرق أبواب التقدم بيد قوية غير متكئة على عصا الغرب والغربيين

ومرتبات المدرسين فى اليابان قليلة جدا . نعم ان المعيشة ميسورة هناك ولكن الحكومة اضطرت لتقليل مرتبات المعلمين لشدة حاجتها للمال وانفاقها الجانب الاكبر منه فى الحربية والبحرية . فترى مايصرف على الذين يتعلمون في

المدارس الابتدائية وعددهم ٣٨٧٢٧٩٤ لا يزيد عن ١٥٥٢٦١٠١ ين وأساتذتهم لا يتجاوزون ٥٨٢٥٦ واحداً . وقد ينزل مرتب المعلم في المدارس الصغيرة الى جنيه واحد في الشهر . وغاية مايصل اليه مرتب اكبر المدرسين في كلية طوكيو ١٢٠٠ ين في السنة أى ١٢٠ جنيها ؛ الا انهم مع ذلك يبذلون غاية الجهد في القيام بواجباتهم لاعتقادهم جميعا انهم في الصف الاول من خدمة اليابان وان المرتب ليس الا مكافأة أو مساعدة من الحكومة وأن أجرهم الحقيقي هو النفع العظيم الذى يعود على بلادهم من أعمالهم ودروسهم

وقد أجمع كافة المؤلفين الأوروبيين والامريكيين الذين كتبوا على اليابان ان الطلبة فيها مثال الأدب واحترام الاساتذة وانه لم يسمع ان واحدا منهم خالف الواجب نحو معلمه أو قصر في حقه . فضلا عما لهم من صفات سامية امتازوا بها. فهم أهل جد ونشاط يواصلون الليل بالنهار في تحصيل العلوم والمعارف والفنون ولا يعتقدون ان أمامهم صعوبة أو أمرا محالا ويرون الاوروبي دونهم ذكاء ونباهة وسلامة في الفطرة.

وكل واحد منهم يعتقد فى نفسه انه قوة من قوي بلاده وانه اذا تقاعس عن الجد والتعلم أضاع على وطنه جزأ من ثروته وقواه وجني عليه اكثر من جنايته على نفسه . أما البنات فقد رأت الحكومة عدم منحهن حرية أخواتهن فى أوروبا وابقاء التقاليد القديمة على حالها مع التوسع فيما فيه فائدة لتقدم الامة وترقية العائلات وفتح أبواب المكاسب للفقيرات من بنات الشعب . ففتحت لهن مدارس الصناعة وبالاخص صناعة الحرير وسهلت لهن الوصول اليها وجعلت لهن قسما خاصاً فى كل مدرسة فنية أو علمية وعينت بعض الأوروبيات الماهرات لادارة شؤونهن وارشادهن

وترقى الكبراء في تربية البنات فعلموهن اللغات والآداب الاجنبية حتي ان السائح يجد في طوكيو والمدائن المهمة من نساء بعض الموظفين من تضارع سفيرات أوروبا علما وأدباً وفضلا وبيانا . وبنات الطبقتين الوسطى والصغرى تقرأن بنوع خاص كتب الآداب وواجبات الفتاة والزوجة والام وتنظيم المنزل . وفي اليابان كتاب من لم تحفظه تعد ناقصة

التربية وهو « هيا كونين ايسهين » أو مجموعة مائة قصيدة شعرية وضعها شعراء مختلفون وضمنوها حياة أشهر النساء ونصائح للسيدات . وهو خير مؤلف يربي البنات على حب الفضيلة والعصمة والتمسك بالشرف واراحة الزوج وتفريج كروبه وهمومه . ويعلمهن تربية البنين والبنات ـ متى صاروا أمهات ـ على حب الوطن والشمم وكرامة النفس

وقد فكر بعض اليابانيين فى اتخاذ اللغة الانكليزية لغة للامة كلها لما فى لغتهم من الصعوبة وكثرة الكلمات . ولكن هذا الرأى لم يجد قبولا من عقلاء المملكة وكان يقابل بالرفض العام لو عرضته الحكومة على الامة . واللغة اليابانية الحالية هى مؤلفة من اللسان اليابانى القديم المعروف باسم « ياماتو » ومن اللغة الصينية . ولم يكن يتكلم الياماتو باتقان وبيان منذ خمسة وعشرين عاما أحد غير العائلة الامبراطورية والاشراف ورجال دين شنتو . ولكن اللغة السائدة هي اللغة المشتركة . وقد أخذ اليابانيون من الصينيين كتابتهم كما قدمنا قبلا وصاروا مضطرين لمعرفة حروفها التي لا تنقص عن

١٠٠٠٠ حرف . ولا يعد التلميذ ناجحا فى المدارس الابتدائية اذا لم يعرف منها ٣٠٠٠ على الاقل . وهم يستعيرون الآن كافة الالفاظ الاصطلاحية فى العلوم والاختراعات من اللغات الاوروبية . ويعترفون بانه يستحيل عليهم أن ينبغوا فى المعارف الحديثة ويجاروا علماء الغرب وكبراء فلاسفته الا اذا أحاطوا بلغات الغرب وتمكنوا منها

وقد استفاد اليابانيون من صعوبة لغتهم فائدة كبرى فانها كانت الحاجز الحصين بينهم وبين المبعوثين المسيحيين اذ أخرتهم كثيرا في نشر دينهم بين طبقات الشعب. والمطالع لما كتبه أولئك المبعوثون عن اللغة اليابانية وما لاقوه فى اليابان يجدهم جميعا يئنون ويشكون ويندبون سوء حظهم قائلين « ان الشياطين تآمروا على وضع لغة اليابان ! »

*
* *

اذا افتخرت اليابان مرة بعناية حكومتها بأمر التربية والتعليم وسهرها على تهذيب الناشئة وتثقيف عقولها وجب عليها أن تفتخر ألف مرة برجالها الابطال وأبنائها المخلصين

الذين أسسوا المدارس الاهلية وأنفقوا عليها من أموالهم وساعدوا الحكومة في مساعيها المحمودة وعلموا أخوانهم الأخذ بأسباب الرقى وتضحية كل نفيس في سبيل سعادة الامة والبلاد . وقد رأي القارئ من الاحصاء الذي قدمناه ان الافراد أوجدوا للعلوم دورا عديدة وظهروا فى هذا الميدان بهمم عالية جليلة . ولا مراء فى ان الكونت «أوكوما» هو المتقدم فى الفضل على الجميع. لقد كانت ولا تزال الكلية التى أنشأها فى « وازيدا » بضواحى طوكيو مثالا للنظام والكمال في التربية والتعليم ونموذجا للكليات التي تخرج للاوطان جيوشاً من الرجال ذوى الرؤس العامرة والقلوب الطاهرة المتشربة بأسمى المبادئ وأرفع العواطف الوطنية . ولم يكتف الكونت اوكوما بذلك بل اتفق مع الكونت « ايدجيكاتا» والبارون« شيبوزاوا» والمالى الشهير «سوميتومي » على تأسيس كليـة للبنات فى طوكيو باسم « نيبون جوشى داى جاكو». وقاموا بتنفيذ المشروع خير قيام حتي صارت هذه الكلية الجديدة من أجل ينابيع الحياة والخير للعائلات والامة كلها



—*﴿ المسيو « فوكوزاوا » ﴾*—

ومن أصحاب الهمم الشماء الذين لهم على التعليم والصحافة الايادي البيضاء فقيد المعارف والآداب المسيو «فوكوزاوا» الذى كان فى الصف الأول من محاربى الجهالة والتأخر . فانه زار أمريكا منذ أربعين عاما ووقف على دقائق العلوم والفنون فيها واختبر أحوالها وسبر سياستها وعرف أسرار تقدمها وجاء الى بلاده قوى العزم مشمراً ساعد الجد لتربية أمته ونشر أنوار الحضارة والتقدم بين شعبه. فأصدر لهذا الغرض

جريدة يوميـة وأسس فى طوكيو كايتـه الشـهيرة باسم « كيوجيدجيكو » ولبث يديرها بهمـة وقوة إرادة وتبصر حتي مات مأسوفا عليه من اليابان كلها فى عام ١٩٠١

وهـذا الرجل هو من آحاد كبار الرجال فى اليابان ولو أراد لكان من عظماء ساستها وأوائل وزرائها . ولكنه رفض التوظف فى الحكومة المرة بعد المرة وفضـل خدمة وطنه بقلمه وعلمه ولسانه معلماً الأبناء حب الحرية والاستقلال والجهاد فى سبيل الحياة. وقد كان اليابانيون قبل ثورة عام ١٨٦٨ يحتقرون التجارة فعلمهم « فوكوزاوا » احـترامها وأبان لهم بالبرهان المحسوس والدليل المتمنع ان أمم أوروبا لم تفتح الممالك والبلدان وتسود أفريقيا وآسيا الا خدمة للتجارة وسعيا وراء رواجها

وقد وصـفه المؤلف الانكليزي الشـهير « بازيل هال شـمبرلن » بقوله : « انه كاتب واضح العبارة جلى الانشاء يدير جريدة عظيمة الانتشار لا تخفي عليـه أبداً حاجات كل وقت . فتراه بالأمس نصـيراً للدين المسيحي لأن اعتناقه

يستميل الأمم الغربية لليابان . وميالا اليوم بكل جوارحه للدين البوذى لان مبادئه موافقة لافكار التقدم العصري والانقلاب الحديث . وتجده يميل للاجانب تارة وينقلب عليهم تارة أخرى ـ ناظرا على الدوام لمصلحة بلاده ـ . وهو من الباحثين الاذكياء . ولقد كان جديراً بأن يكون وزيرا للمعارف ولكنه ابتعد دائما من الوظائف ومناصب الشرف . وهو يعتبر الآن الأب العقلي والنفسانى لنصف الرجال الذين يقودون أزمة الأمور في اليابان »

ولم يعتن بأمر التعليم والتربية ونشر المعارف فى أرجاء اليابان الاغنياء والكبراء دون غيرهم . بل أظهرت العائلات كلها اهتماما به كبيراً فتكفلت كل واحدة منها بالانفاق على تلميذين أو ثلاثة حسب درجة ثروتها . وكلما زاد مرتب رئيسها زاد عدد التلاميذ الذين يتعلمون على نفقتها ويعيشون تحت كنفها . ولعل الامة اليابانية هى الوحيدة فى العالم كله التى يجد الانسان فيها هذا التضامن وانعطاف الكبير على الصغير والغني نحو الفقير الى ذلك الحد التى تنتهي اليه

الوطنية الحقة

وقد نبغ اليابانيون بفضل عناية الحكومة والاهالي وبرع منهم الكثيرون في كل علم وفن . وظهر منهم أول مكتشف لميكروب الطاعون . وها هم يربون الآن الامة الصينية وينشرون بين أفرادها أنوار العرفان وتأتي الوفود منها الى اليابان لترجع عامرة الرؤوس والقلوب . وبالجملة انقلب الحال وصار اليابانيون يعلمون الصينيين بعد ان كان هؤلاء أساتذتهم في القرون الغابرة وحاملي لواء المدنية بينهم . ولو استفادوا من معارفهم الفوائد اللازمة لحدث في الشرق الاقصى أكبر تغيير وأعظم انقلاب

*
* *

لا يفتح الانسان كتابا على اليابان خطه قلم غربي حتى يجد المؤلف ساخطا على الروح العاملة في تربية اليابانيين. لان أساتذتهم يعلمونهم كراهة الاجانب وبغضهم واحتقارهم ويربونهم على العمل ضدهم بكل ما في الامكان واعتبارهم أعداء للأمة شديدي الخطر عليها . وأشد المؤلفين سخطاً وتألما هما

المسيو « هنرى دومولار » الذى كان مدرسا فى اليابان وله عليها كتاب من أفيد الكتب التى اعتمدنا عليها والمسيو « فيلكس مارتان » صاحب كتاب « اليابان الحقيقية » . فقد خصصا لهذا الموضوع أبحاثا طويلة حملا فيها على المعلمين اليابانيين حملة شديدة . وجاراهما فى كتاباتهما هذه بقية المؤلفين الغربيين

وفي الواقع فقد ملأ المعلمون اليابانيون كتبهم بتمجيد اليابان وتعظيمها وتفضيلها على بقية بلاد الارض . فجاء فى كتاب « كاتوسوكى ايتسى » المنتشر بين تلاميذ المدارس الابتدائية ما ترجمته :

« ان نيبوننا الكبيرة التى يحكمها أمبراطورها العاقل هي أسمى وأرقى من كافة بلاد العالم . فطقسها بديع ولا يعرف أهلها الحرارة المؤلمة ولا البرودة القارسة

والاشجار والفواكه تنمو فيها بكثرة وافرة . والارز والحنطة وبقية الحبوب جيدة فيها . وقد تحسن الشاى والتوت فى بلادنا ولو أن أصلهما من الصين بفضل جفاف الارض ولطف الطقس . . . . وقد قام الرسل والانبياء في البلاد

الاخرى لتعليم الفضيلة للناس ولكن الناس لبثوا قاسى القلب يشبهون الحيوانات الكاسرة . أما اليابان فلم يأتها أحد من الرسل والانبياء وشعبها رقيق الاخلاق لان أرضنا وطقسنا يسمحان لكل انسان أن يتحصل بقليل من العمل على الحبوب الضرورية للحياة . ويوجدان فى الرجال الدعة والطيبة »

وقد ظهرت آثار هذه التربية فأعلن اليابانيون صغاراً وكبارا بغضهم الشديد للغربيين واحتقارهم لهم . واضطرت الحكومة أن تنبههم المرة بعد المرة الى مافي هذا السلوك من ضرر بالبلاد وتنفير للدول الميالة لها عنها ورأى الميكادو نفسه من الواجب عليه ارشاد الشعب الى مصلحة الدولة فأصدر منشورا بمناسبة محو الامتيازات الاجنبية وابطال المحاكم القنصلية دعافيه الاهالى الى عدم الاعتداء على الاجانب واهانتهم واظهار البغضاء لهم. ووقف المركيز « سيونجى »وزير المعارف في عام ١٨٩٥ خطيباً على مديرى المدارس الابتدائية فقال لهم :

«ان الذين يتمسكون بالفكر اليابانى العتيق هم ألد أعداء الامة وقوم يأبون الجرى مع التقدم فى تياره ويقبلون بثقة

زائدة الاوهام القومية ويهملون ارشاد الشعب الى الحقيقة بشأن البلاد الاجنبية »

وألقى المركيز إيتو فى يونيه عام ١٨٩٧ خطبة على هذا الموضوع قال فيها :

« مما لا ريب فيه ان المعلمين يربون التلاميذ فى كافة مدارس اليابان على كراهة الاجانب وكلما تقدمنا الى الامام تقدمت هذه العواطف ونمت . فافرضوا ان الاشرار منكم اعتدوا على الاجانب بدعوى انهم ينالون من المكاسب ما أبناء البلاد أحق به وانهم يهجمون على حوانيتهم ومعاملهم فماذا يحصل بعد ذلك ؟ ان المسئلة تصير دولية وتقف البلاد عندئذ فى مركز حرج للغاية

ولذلك فانى أطلب اصلاحا تاما للتعليم فى بلادنا وأحتج ضد تربية شبيبتنا على وطنية ضيقة الدائرة غير حميدة . ولا بد من اقتلاع جذور العداوة النامية ضد الاجانب لان الاموال الاجنبية ضرورية لنا . ولا يمكننا الحصول عليها الا اذا أمن أصحابها على أنفسهم وعليها »

وقال الكونت أوكوما مثل ذلك مرارا وتكرارا . ولكن هذه الاقوال لم تأت بأقل ثمرة . لان الشعب اليابانى لاينسى فتح الاجانب للثغور اليابانية بالقوة والقهر ولا تمحو الايام والاعوام من ذاكرته احتقارهم له ونظرهم اليه بازدراء. وهو لم يخطب المدنيــة الاوروبية حبا فيها أو غراما بها . بل رغبة منه فى ادراك شأو الاجانب ونيل قوتهم فى البر والبحر لمقاومتهم والتغلب عليهم وتخليص الشرق الاقصى من نفوذهم. فلذلك يرى أصحاب النظر الصائب ان كل المجهودات الـتي تبذل لاقتلاع جذور شجرة العداء والبغضاء للاجانب النامية بين اليابانيين هى كذرات الغبار المنتشرة فى الهواء لاتلبث أن تذروها الرياح . وان اليابانى لايستطيع أن يفهم للوطنية معني اذا لم تكن روحها كراهة الاجنبي والسعي لطرده من بلاده ومحو كل نفوذ له من أعمالها العامة والخاصة

على ان الحكومة نفسها لم تبالغ فى الحفاوة بالاجانب . فقد غيرت المدرسين منهم بيابانيـين فى أيسر زمن ولاتزال تأبى عليهم امتلاك شبر أرض فى البلاد

الصحافة

لم يكن للصحافة وجود حقيقي فى اليابان قبل ثورة سنة ١٨٦٨ . فقد نشر بعض باعة الكتب بطوكيو فى عام ١٨٦٣ نشرة باسم « أخبار باتافيا » مشتملة على ترجمة الجرائد الهولاندية لم تعش الا مدة قصيرة ثم قام فى عام ١٨٦٤ المسيو « جوزيف هيكو » بانشاء جريدة « كايجى شمبون » أى « أخبار الخارج » واستمر يحرر فيها مدة سنتين لقى فيهما كل أنواع المصاعب ولم يثبت معه من مشتركيها الا اثنان . وفى سنة ١٨٦٧ أصدر المسيو « جنتشيروفوكيتشى » جريدة « كوكو شمبون » أو « الاخبار الاجتماعية » . واقتدى به الكثيرون ولكنهم وجدوا جميعا المتاعب الجمة لان الاهالى كانوا غير مقدرين للصحافة حق قدرها وكان أصحاب الاموال يأبون مساعدتها أو اصدار أسهم بالصحف المهمة . وفضلا عن ذلك فقد كانت المطابع خشبية من الطراز القديم

وأول جريدة استخدمت المطابع الأوروبية وظهرت فى الزى الجديد هى جريدة « طوكيو يوكوهاما مينيتشى شمبون » التى صدرت فى عام ١٨٧١ . ثم نشرت بعدها جرائد أخرى سياسية أخذت من الشهرة والاهمية النصيب الوافر

وكانت الجرائد لغاية عام ١٨٧٤ تظهر فى الظهر وتوزع فى المساء . ولم يكن الموزعون كبيرى الاهتمام بايصال الصحف فى أوقاتها . وقد أنشأت مجلة « تايو » اليابانية مقالة على الصحافة فى بلادها روت فيها حكاية لطيفة نقلها المسيو « دومولار » فى كتابه . وهى ان احدى الصحف لم تجد فى عام ١٨٧٤ من الموزعين العدد الكافى لكثرة انتشارها فدعت محرريها للتوزيع . وارتدى رئيسهم ملابس «الساموراي» واضعاً سيفاً على يمينه وآخر على يساره وطاف المنازل والدور حتى وزع وحده ٢٠٠ نسخة على المشتركين وفعل بقية المحررين مثله . وان صحافياً آخر لم يستطع اتمام مقالته الافتتاحية فألقى بها من نافذة قاعته ووضع فى صدر الجريدة اعلانا قال فيه :

« لقد كان الهواء بالامس شديداً الى حد انه طوح بمقالة رئيس تحرير جريدتنا فى الشارع وفرق أوراقه فى كل جهة . وقدرأينا اصدارالجريدة على حالها اليوم منعاً من التأخير ورجاؤنا ممن يجدالمقالة من القراء أن يردها الينا ! »

واستمرت الصحافة ترقى ببطء حتى قامت الحرب بين اليابان والصين وأحدثت انتصارات جنود الميكادو انقلابا كبيراً فى كل فروع الحياة ودبت فى الامة روح جديدةوتمت ثقتها بنفسها وزادت محبتها لبلادها وتمسكها برايتها ومجدها وعظمتها ولم يعد لليأس سلطان على واحدمن أفرادها. فانتقلت الصحافة من حال الى حال وصار فى جرائد طوكيو مايطبع منها ١٠٠٠٠٠ نسخة فى اليوم بعد ان كان عددماتطبعهأهم جريدة ١٠٠٠٠ ليس الا ....

ويبلغ عدد الجرائد والنشرات الدورية فى اليابان ١٥٠٠ منها ٤٠٠ جريدة . وعدد ماينشر يومياً من الاعداد بين ٦٠٠٠٠٠ و ٧٠٠٠٠٠ وفى طوكيو وحدها ٢٠ صحيفة يومية أهمها « دجيجي شمبو » أو « الزمن »و « طوكيو نشى نشى

شمبون » أو « أخبار طوكيو اليومية » و « منيتشى شمبون» أو « أخبار اليوم » و « كوكومين شمبون » أو « الامة » و « نيبون » أو اليابان . وبين صحف طوكيو جريدة انكليزية وهى « يابان تيمس » التى يحررها يابانيون رأوا من فائدة بلادهم اعلان آرائهم وأفكارهم للاجانب. ومما تمتاز به ادارات الجرائد اليابانية عن غيرها أنك اذا دخلت الى احدى مطابعها سمعت غناء قوياً ودوياً شديداً . وذلك لان الصنافين يغنون بذكر الحروف عند جمعها

وقد أصيبت الصحافة في اليابان بآفتها فى كل بلاد العالم فترى بجانب الصحف الكبرى النافعة الراقية المهذبة أخرى لا وظيفة لها الا الفضائح والطعن والشخصيات . وتجد فيها التفاصيل الغريبة عن سيرة زيد من الناس أو عمرو وأعماله وأسراره وتصرفاته والنساء اللواتي يقضى معهن أوقات سروره وانشراحه .وغير ذلك من الامور التى ليست من وظيفة الجرائد فى شئ . ومن العجيب ان بعض هذه الصحف اكثر انتشاراً من الصحف الكبرى الملازمة لخطة الأدب والكمال.

وماذلك الا لميل النفوس لمعرفة أخبار الافراد وسير الاشخاص وتطلعها على الدوام لما وراء الستار

وثمن الجرائد في اليابان قليل جداً . فهو يختلف من قرشين الى خمسة فى الشهر الواحد أى لا يتجاوز ثمن الجريدة الواحدة مليما ونصف المليم . وكذلك أجرة الاعلانات فيها واهية . ولكن الجرائد اليابانية كثيرة الاعلانات . وقد تفوق الصحف الانكليزية والامريكية نفسها في وفرتها

أما المجلات فهى اكبر عددا من الجرائد اليومية والاسبوعية. لان اليابان مملكة الجمعيات . ولكل جمعية منها مجلة خاصة بها. وقد كانت أجل نتائج الحرية انشاء الجمعيات العديدة . فترى فى كافة المدائن اليابانية النوادى المختلفة لها والمجلات المنشأة بأموالها وأقلام أعضائها . ولم يترك اليابانيون باباً من أبواب الاجتماع والائتلاف حتى طرقوه . فتجد جمعياتهم قد اختصت بكل شئ وشملت كل أمر فكما أن للصليب الاحمر جمعية تحت رعاية الامبراطورة يبلغ عدد أعضائها ٤٠٠٠٠٠ شخص تبصر جمعية أخرى باسم « جمعية المسافرين من طوكيو الى

يوكوهاما » أو « جمعية حاملى الشوارب ! » وهكذا

وليس الصحافيون فى اليابان بأسعد حظاً من اخوانهم فى مصر وبقيـة بلاد الشرق . فهم يجهـدون أنفسهم كثيرا ويتعبون تعباً جسيما ولا يربحون الامالا قليلا . فكان الواحد منهم منذ عشر سنوات يعد نفسه الفائز اذا كسب عشرة جنيهات فى الشهر وكانوا يسمون المسيو « تاكاهاشى » أمير الصحافة لانه كان ينقـد ١٥ جنيها . وقد تحسنت الحالة نوعاً بعد حرب الصين فوجد من يدفع له فى الشهر ٥٠ جنيهامثل المسيو « كاى هارا » وكيل نظارةالخارجيةسابقاًوالمحررالاول لجريدة « أوزاكامينتشى » . ولكن متوسط مرتب المحرر العادى فى الصحف اليابانية لايتعدى ستة جنيهات . فليتسل أخواننا المحررون المصريون بحال رصفائهم اليابانيين !

وقد كان القانون شـديدا جـدا على الصحافيين . ولم يلطف الا فى عام ١٨٨٧ . فكان الواحد منهم يزج فى السجن قبل ذلك لاقل اعتراض على الحكومة أو لمناقشتها الحساب على أى عمل من أعمـالها . ومن أظرف ماوقع فى ذلك العهد ان

الحاكم حكمت على المسيو «كوروكاتو» مدير جريدة «سايفو شمبون» بالحبس لمدة ثلاث سنوات وعطلت جريدته بسبب ذلك . فاجتمع رصفاؤه جميعا وقرروا الاحتجاج على ذلك الحكم القاسى بصفة مؤثرة وأعدوا فعلا «جنازة» علنية للجريدة المعطلة دعوا الامة اليها وسار على رأسها رجال الدين البوذى التابعون لمعبد «دمبو» فى مدينة «أزاكسا» . فازدحمت الجماهير لرؤية هذه الجنازة الفريدة فى بابها وتوديع ذلك «الميت» العزيز وسار خبرها فى اليابان كلها . وكان من الاسباب القوية التى حملت الحكومة على منح الصحافة حريتها الكاملة

ومما لا ريب فيه ان الصحافة أفادت اليابان بما لا يقدر . وكانت عاملا من اكبر عوامل تقدمها . وهى المحرضة على الحرب الحالية والداعية اليها . والمشجعة للامة على مد يد المعونة للحكومة بالمال والرجال . واذا تم لليابان فى هذه الحرب ما تريد جنت الصحافة ثمار مجهوداتها وخطت الخطوة النهائية فى سبيل الانتشار

وعلى كل حال فانها لم تصل الى مقامها الحالى الا بفضل انتشار التعليم واستقلال البلاد . ولولاهما لكانت مثل صحافة مصر التى نشأت معها فى وقت واحد . فلينظر الكتاب المصريون الى هذه الحقيقة بتأمل واعتبار وليخدموا العلم والاستقلال إن كانوا يبتغون اعلاء شأن مهنتهم وترقية صحفهم !

الحربية والبحرية

رأي القارئ مما أوردناه في الكلام على المالية ان دولة « الشمس المشرقة » أنفقت الأموال الطائلة في سبيل تقوية الحربية والبحرية وتحملت الديون والاثقال وضربت الضرائب لجعل عدد جيشها ٥٢٠٠٠٠ مقاتل غير جنود الحرس الامبراطورى ورجال الشرطة بعد ان كان لا يتجاوز ٢٨٠٠٠٠ أيام الحرب مع الصين. وايصال عدد بوارجها الحربية الى ٦٧ بارجة (منها ٧ مدرعات كبري) حمولتها ٢٥٨٠٠٠ طن (عدا ١١ ضد الطوربيل و١١٥ طوربيلا) بعد ان كان لديها فى مدة الحرب الصينية ٢٣ بارجة حمولتها ٧٨٠٠٠ طن ليس الا و٢٦ طوربيلا

وقد تم لها ما أرادت فى الجيش فبلغ فى العام الماضى الحد المرغوب ولم يبق على اتمام مقاصدها فى البحرية وتنفيذ خطتها الا الشئ القليل . وقد تداركت ما احتاجت اليه أثناء

الحرب . وفضلت اعلانها فى هذا العام والاسراع بها قبل أن يستعد الروس تمام الاستعداد وخيراً فعلت . خصوصاً وان بحريتها على كل حال أقوى من بحرية خصمها

والجيش اليابانى بأسره تحت قيادة الميكادو. والمساعدون له هم وزير الحربية وأركان الحرب والمدير العام لتعليم الحركات العسكرية وتمرين الجنود . والجيش مقسم الى ثلاثة أقسام : الجيش العامل بما فيه الجنود الاحتياطية وهو المعد للخدمة فى الخارج أى لمحاربة أعداء البلاد . وجيش المقاطعات وهو لحماية البلاد واحتلال جزيرة فورموزه . وجيش الرديف وهو معد لحماية البلاد وامداد الجيش العامل عند الحاجة

والجيش العامل مؤلف من البيادة (المشاة) والسوارى وطوبجية الميدان وطوبجية الحصون والمهندسين وجنود النقل. والبيادة مؤلفة من ٥٢ آلايا في كل واحد منها ثلاث أورط . ومجموع ضباطها ٤١٦٠ وجنودها ١٤٣٠٠٠ . والسوارى مؤلفة من ١٧ آلايا فى كل واحد منها ثلاثة بلوكات . ومجموع ضباطها ٤٠٠ وجنودها ٩٠٠٠ . وعدد خيولها ٩٠٠٠ .

وطوبجية الميدان مؤلفة من ١٩ آلايا فى كل منها ٦ بطريات. وعددمدافعها ٦٨٤ مدفعاً ومجموع ضباطها ٨٠٠ وجنودها ١٢٥٠٠ . وعدد خيولها ٨٨٠٠ حصان . وطوبجية الحصون مؤلفة من ٢٠ أورطةعدد ضباطها ٥٣٠ وجنودها ١٠٣٠٠ . وفرق المهندسين تكوّن ١٤ أورطة عدد ضباطها ٢٩٠ وجنودها ٧٥٥٠

والجنود الاحتياطية مؤلفة من ١٠٠٠ ضابط و٣٤٦٠٠ جندى وتبلغ مدافعها ١١٤ وخيولها ٩٠٠٠ . واذا أضيفت اليها والى الجيش العامل جنود المقاطعات وقوى الرديف بلغ جيش اليابان ٥٠٩٩٦٠ جنديا . وذلك غير فرقة الحرس التى بانضمامها اليه يبلغ ٥٢٠٠٠٠ جندى الذى أشرنا اليه . والجيش الدائم مؤلف من ١٢ فرقة غير تلك الفرقة الممتازة التى أظهرت غاية البسالة في واقعة نهر يالو

وهذه الجنود كلها مدربة أحسن تدريب ومعلوها فى غاية الكفاءة والبسالة . وأسلحتها ومدافعها من أحدث وأجود طراز وكلها مصنوعة فى اليابان . وأهم الترسانات فى طوكيو

وأوزاكا . وترسانة طوكيو وحدها تصنع فى كل يوم ٣٠٠ بندقية و ١٠٠٠٠ خرطوشة . واستقلت ترسانةأوزاكابصناعة المدافع وقنابلها وسائر الذخائر والمهمات . ومدافع الحصار هى من أدق طراز لمدافع كروب . وفى اليابان معملان لصنع البارود الذى بلا دخان . أما مدارسها الحربية نتعد مثالا للنظام والاتقان فى التعليم وتربية القواد والاكفاء والضباط الماهرين . وقدخرجت بالفعل رجالا فاقوا الاوروبيين في اختراع البارود والمواد المدمرة مما لايزال سرا مكنونا لايعرفه الاهم

وقد بلغت البحرية اليابانية كذلك أقصى درجات الكمال وصارت الآن في الصف الاول من بحريات الدول المتمدنة. وهي مؤلفة من سبع مدرعات كبيرة وهي « أساهي وفوجى وهاتسوسا وميكاسا وشيكيشيما » (وهي أكبر مدرعة فى اليابان ومن المدرعات النادرةالمثال فى العالم كله) و«يوشيماوسن يو » . وأربع مدرعات صغيرة وهى« سن يون وفوسو وهي ين وشيودا » . ومن خمس طرادات من الدرجة الاولى وهي

« أساما وأزوما وادزوما وايواتى ويا كوما » . وقد اشترت طرادين آخرين من الارجنتين وهما «كاسوجاونيشين» . ولكن أفواه الماء طمعت في هذا الاخير كما طمعت في المدرعة «يوشيا» . ومن اثني عشر طرادا من الدرجة الثانية وهي « اكيتسوشيا وشينوزا وهاسيداتاواتسوكوشيا وكازاكى وما نشوشيا ونانيوى ونياي تاكا وتاكاشيهو وتاكاشاجو وتسوشيا ويوشينو » . وست طرادات من الدرجة الثالثة وهى « أكاش وشى هايا وايزومي وأوتاوا وساى بن . وسونا » ومن ٣ مدفعيات و٢٦ نسافة توربيدية وجملة قوارب توربيدية

***

لم يجمع رجال العسكرية والنقاد الحربيون على أمر بل لم يتفق الناس جميعاً على حقيقة كاجماعهم واتفاقهم على ان الجندى الياباني لا يعرف للحياة قيمة ولا للموت رهبة . وانه اكثر الجنود قناعة وأشدهم بسالة وأعظمهم إقداما . يستقبل رصاص الاعداء ضاحكا منشرحا كأنه يقابل صديقاً حميما أو يستلم هدية فاخرة وما ذلك الا لانه مع ماهو مفطور عليه من الشهامة

يحب بلاده حباً فائقاً ويسير الى القتال عالماً انه يخدمهاويعمل لعظمتها واتساع نفوذها . وهو أمر لا يتحقق لكافةالجيوش . وبديهى ان الوطنيـة اذا اجتمعت بالشجاعة فعلت مالا تقدر عليه قوى الارض كلها

والجندى اليابانى قنوع للغاية . فهو لا يطلب من الزاد اكثر من كمية قليـلة من الارز المطبوخ بالماء . وهذه القناعة تفيـد الجيش اليابانى فائدة جزيلة . لان مسـئلة نقل المؤونة وغذاء الجنود من اكبر معضلات الحروب

وقل أن يوجد فى الدنيا جندى تعود على المشى الطويل مثل الياباني . فهو يسير على قدميـه الأميال العديدة . وقد يقطع ٣٠ كيلو متراً وحمله على ظهره بلاتعب ولاملل . وهذا ليس بعجيب لان الفلاحين اليابانيـين يجرون العربات المحملة بالاشياء المختلفة مدة ١٢ ساعة يقطعون فيهـا ١٠٠ كيلومتر !

ويمتاز الجندى اليـاباني أيضا بالمهارة فى الرمي والطاعة والامتثال والرحمة بالضعفاء والبر بالمرضى ورقة القلب والحنان على الجرحي والعناية بهم . وقد رفعت هذه المزايا الساميةشأن

الجيش اليابانى وحملت أعداء اليابان أنفسهم على الاعتراف بها .

وقد أظهر جيش الميكادو كفاءته واستعداده ونظامه لاول مرة فى حربه مع الصين . ولما أعلنت فى أول أغسطس عام ١٨٩٤ ظن الكثيرون من الاوروبيين ان الدائرة ستدور على اليابان وان حكومة « متسو هيتو » طوحت بنفسها فى تيار شديد الاخطار . لان الصين كانت مستعدة استعداداً تاما ولم يكن يظن أحد انها بهذا الضعف المفزع . لا سيما وقد اهتم « لى هنغ شانغ » من أوائل عام ١٨٦٠ ـ أى قبل اليابان ـ بتقوية حصونها وقلاعها وشراء البوارج الكبرى لجعل أسطولها قادراً على حماية الثغور واستخدام الضباط الاجانب لتنظيم جيشها وتدريب جنودها على الاسلحة الحديثة . ولم تنهض حكومة ابن السماء هذه النهضة الا لكونها رأت فرنسا وانكلترا قد قهرتاها فى عام ١٨٦٠ وتغلب ١٨٠٠٠ جندى من عساكرهما على ٦٠٠٠٠ صينى فى « بالى كياو » واستولوا على بكين وأحرقوا قصر الصيف وملأوا البلاد رعباً حتى اضطر الامبراطور « هان فونج » لأن يولى الادبار

ولما أعلنت الحرب بين الصين واليابان كان جيش الدولة الاولى مؤلفاً من ٣٥٠٠٠ جندى فى بتشيلى و١٣٠٠٠ جندي فى بورآرثر و١٢٠٠٠ فى واى هاي واي و٧٨٠٠٠ جنـدى فى منشوريا منهم ١٥٠٠٠ من التتار تحت قيادة الجنرال « لى » و٦٣٠٠٠ صيني تحت إمرة الجنرال « سنج » . ولم يكن لدى اليابانيين الا جيشان أحدهما تحت قيادة المارشال « يماجاتا » (وقد خلفـه الجنرال « نوثزو » فى ٥ ديسـمبر عام ١٨٩٤ بسبب مرضه) وكان موءلفا من ٤٢٠٠٠ جندى و٨٤ مدفعاً ومكلفا باحتلال كوريا وشن الغارة على منشوريا .والثانى تحت قيادة المارشال « أوياما » وكان موءلفاً من ٢٢٠٠٠ جنـدى و٤٨ مدفعاً . وقد عهد اليه الاستيلاء على بورآرثر وأضيـف اليه بعد ذلك ٣٠٠٠ جندى لمهاجمة واى هاي واى . اى ان مجموع القوى البرية الصينية كان ١٣٨٠٠٠ جندى واليابانيـة ٧٧٠٠٠ ليس الا

وكان الاسـطول الصيني مولفاً من ٢٤ بارجـة منها مدرعتان من الدرجـة الاولى ومن ١٥ نسافا . وكان اليابانى

مولفاً من ٢٣ بارجة و٢٦ نسافا ولم يكن فيه مدرعة واحدة .

ورغماً عن ذلك كله فان الصينيين هزموا في كل واقعة شر هزيمة وافتتح اليابانيون الحرب باحتلال سيول عاصمة كوريا والاستيلاء على « أسان » « وفيونج ينج » التى خسر فيها الصينيون الخسائر الهائلة . وفى ١٧ سبتمبر أى بعد اعلان الحرب بستة أسابيع انتصر الاميرال « إيتو » على الاسطول الصيني الذى كان يقوده الاميرال « تنج » انتصاراً باهرا فى نهر يالو أغرقت فيه ثلاث بوارج صينية وتدمرت اثنتان وأحرقت ثلاث أخري وفرت الاربع الباقية وجرح أكثر من ١٠٠٠٠ رجل . ولم يخسر « إيتو » فى هذه الواقعة بارجة واحدة ولم يجرح من رجاله الا ١٣٠ شخصاً ! وسهل هذا النصر للجيش الياباني عبور النهر ومقاتلة الصينيين فى « كيولين شنج » وقهرهم وأخذ ٧٨ مدفعاً منهم وأربعة آلاف بندقية وأربعة آلاف خرطوشة . وفى ٢١ نوفمبر أخذ اليابانيون بورآرثر عنوة مع مناعتها واستعداد الصينيين لحمايتها ووقعت قبل ذلك « كنشو وتالين وان » في أيدى أولئك الجنود

البواسل الذين زادوا دولتهم اشراقا على اشراقها ونوراً فوق نورها

ولم يسترح اليابانيون الا قليلا حتي سيروا جيشهم العرمرم على منشوريا وأظهر جنودهم فى هذه التجريدة منتهى الصبر والجلد والشجاعة وتحمل الآلام والاوجاع لاشتداد البرد وكثرة الامراض. ثم هم الجنرال « نوتزو » بأخذ « واى هاى واى » فاستولى عليها بعد قتال عنيف ووضع الاسطول اليابانى يده على بقية البوارج الصينية وقتل الأميرال « تنج » نفسه حزنا على مصاب وطنه. ولم تر الصين بعد ذلك بداً من طلب الصلح لأن اليابانيين كانوا على أبواب عاصمتها فعقدت الهدنة في « سيمونذاكى » يوم ٣٠ مارس عام ١٨٩٥ وانتهى الأمر بفوز الدولة الشابة المجدة على الدولة العجوز.

وقد بهرت هذه الانتصارات العالم الأوروبي والامريكى ولكنه لم يعترف بقوة اليابان ويشهد لجيشها بالنظام والاستعداد والمزايا العالية الا في عام ١٩٠٠ عندما سار مع الجنود الأوروبية

لانقاذ السفارات الاجنبية في بكين . فقد دخل العاصمة الصينية كتفا لكتف مع الجنود الروسية قبل كافة جيوش الدول الاخري وأبدى من الشجاعة والاقدام ما أدهش الضباط الأجانب جميعاً . وابتعد عن النهب والسلب وارتكاب الفظائع فزاد اعتبارا واضطرت أوروبا للنظر اليه بعين الاحترام والاعظام

وهاهو اليوم يأتي في حربه مع الروسيا من آيات البسالة الفائقة والشجاعة النادرة ما يخاله الأنسان قصصا لولا انه حقائق تؤيدها أخبار الاعداء أنفسهم . وأى شجاعة رآها بنو الانسان كالتي أظهرها اليابانيون في واقعة نهر يالوو سد مدخل بور آرثر وكنشو ونان شان؟

لا بدع اذا كان تاريخ الحرب الحاضرة يعد يوم ظهوره أغرب تاريخ للحروب القديمة والحديثة ومجموعة حوادث تفصل للناس التفاني فى خدمة الوطن واحتقار الموت وتعلمهم ضروب الشهامة الحقيقية وكيف يطلب الفرد العطب حباً فى رفعة بني جنسه وسيادة قومه ووطنه

*
* *

لو أردنا أن نوفى قواد اليابان حقهم من المدح والثناء والوصف والاطراء لاحتجنا لمؤلف خاص بهم لانهم على حداثة عهد دولتهم بالجيوش النظامية قاموا بأجل الاعمال وجاروا أكبر قواد أوروبا وكتبوا بيمينهم أشرف صحيفة فى تاريخ الجندية . ولا ريب ان المارشال « يماجاتا » هو أستاذهم الاكبر ومربيهم ومعلمهم وصاحب الفضل العظيم في بلوغ الجيش الياباني هذه الدرجة الرفيعة . وقد لبث طول حياته من أقرب المقربين الى الميكادو ومن نصاحه المخلصين وتولى الزعامة على حزب المحافظين . وأبان فى حرب الصين من المهارة فى وضع الخطط العسكرية والتدبير في تسيير الجنود ومفاجأة الاعداء ماجعل أبناء وطنه يلقبونه « بدى ملتك » اليابان كما سموا « ايتو » بسمارك ها

وهو الذى أرسل الضباط اليابانيين وأركان حرب الجيش الى الصين لمعرفة قوتها وحصونها واستحكاماتها ونقل خرطها وتدبيراتها . فتزيوا بالازياء المختلفة واشتغلوا بالحرف السافلة

والعالية وأرخي البعض منهم شعره خلف ظهره ليظنه الصينيون منهم حتي أحاطوا بالاسرار الحربية للصين واستطاعت اليابان التغلب عليها . وقد أتت مثل ذلك فى السنوات الماضية ووقفت على حركات الروس واستعداداتهم وهم غافلون

ومن تلاميذ المارشال « يماجاتا » القواد « نوتزو وأوشيما وتاتسومي » (الذين يلقبه اليابانيون بنابليون الشرق) وكوروكى وأوكو وهاسجاوا وإينويي . وبالجملة كل كبار ضباط اليابان

والجنرال كوروكى يبلغ الآن من العمر ٦١ عاما وهو من سلالة الساموزاى . وقد اشترك في ثورة عام ١٨٦٨ وخدم الميكادو أجل خدمة . ونال رتبة جنرال فى عام ١٨٨٥ واشترك في هجوم الجيش اليابانى على « واى هاى واى » فى حرب الصين . وها هو اليوم يقود جنود دولته فى حربها مع الروسيا ويتبع خطة « يماجاتا » ويستخدم دروسه وتعاليمه

وقد تخرج فى البحرية أيضا ضباط عظام تقرن أسماؤهم بأكبر أسماء رجال البحر فى أوروبا . وأستاذهم الاول هو بلا



—﴿ الجنرال « كوروكي » ﴾—

نزاع الامـيرال « إيتو » قائد الاسـطول اليابانى فى حرب الصين ـ وهو من عائلة المركيز إيتو ـ فانه كان أول ناقل لخطط البحرية الانكليزية والمدرب لضـباط أسـطوله على سرعة المناورات والحـذق والمهارة فى الحركات . وقد تلقى عليـه الاميرال «توجو» الدروس النافعة فنبغ من بعده وحل محله وصار الآن موضع آمال أمته ودولته . وهو كذلك من سلالة الساموراى . وولد فى ١٤ اكتوبر عام ١٨٥٧ أى انه لم يتم السابعة والاربعين من عمره وهو سن لايحلم فيه أمهر الضباط البحريين فى أوروبا بقيادة أسطول . ولكن اليابانيين يدخلون في دور الرجولية وهم شبان ويأتون فى الاربعـين مالايأتيه غيرهم فى الستين . وقد تربي الامـيرال توجو في انكلترا وتعلم فى الباخرة « ورسستر » وحضر أهم المناورات البحرية. وكان قومندانا للطراد « نانيوا » فى الحرب الصينية. وأطلق أول مدفع فيها حيث كان الاسطول الصيني ينقل الجنود الى كوريا وكانت الباخرة « كوشنج » تقل ١٦٠٠ جندى صيني وفوقها العلم الانكليزى فدعا ضباطها لتركها وصوب مدافعه نحوها حتى

أغرقها هى ومن فيها . ومن عجائب الصدف ان اليوزباشى « جالسوورسى » قومندانها كان زميله فى المدرسة وتربى معه على ظهر الباخرة « ورسستر »

واشترك الاميرال توجو كذلك فى واقعة نهر يالو التى قضى فيها على الاسطول الصيني وفي واقعة « واى هاي واى » وكان أكبر معين للأميرال إيتو على تنظيم البحرية وتقويتها . وهو الذى أشرف على بناء البوارج الجديدة . وله خبرة تامة بكل شواطئ الصين وكوريا .وقد خدمه الجواسيس اليابانيون كثيراً في الحرب الحالية . والتقى « صدفة » ـ وما أغرب هذه الصدفة ! ـ يوم ٨ فبراير الماضى أى يوم اعلان الحرب على الروسيا مع ضابط من كبار الضباط اليابانيين كان على ظهر باخرة انكليزية قادمة من « دالني » وعرف منه مواقع البواخر الروسية فى بورآرثر واستطاع بذلك أن يهاجمها في هذا الثغر وهى ساكنة هادئة آمنة !

وان ما أتاه الاميرال توجو فى الحرب الحاضرة من صنوف المقدرة والكفاءة والمعرفة مما يشرف البحرية

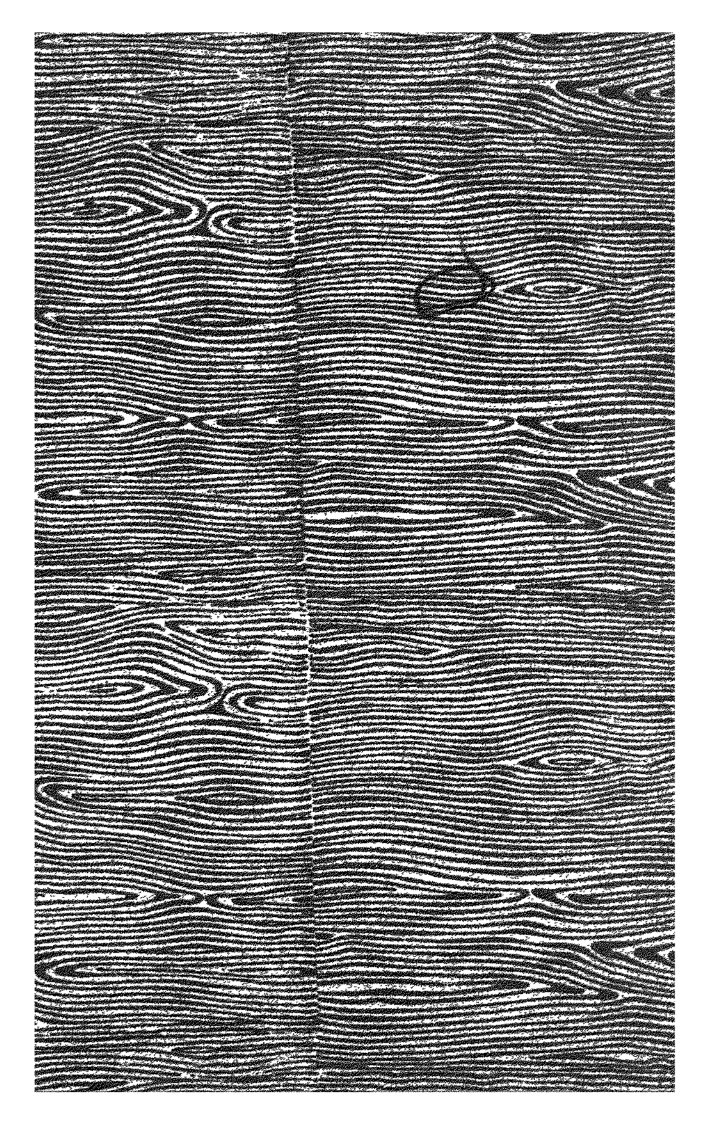


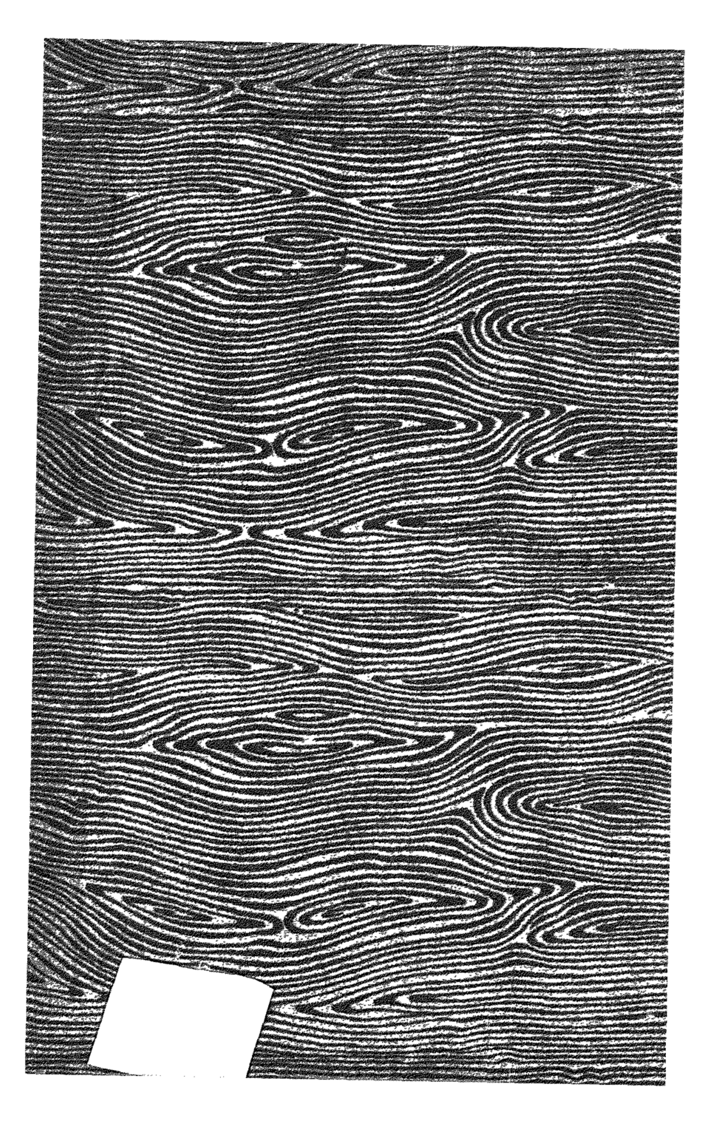
—•﴿ الاميرال « توجو » ﴾•—

فهرست الجزء الاول

﴿ انتهي ﴾

طبع هذا الجزء فى ١٤ يونيه سنة ١٩٠٤






Bibliotheca Alexandrina
03381065